

الطليعة المقاتلة

السورية التي تنزع في الأصل إلى ممارسة العمل الدعوي والسياسي التي يعتقد أغلب أقطابها -كالشيخ سعيد حوى- أنه حيث توجد حياة انتخابية حرة في سورية فإن الإسلام بخير، لأن التدين الأصيل في سورية يفرض نفسه على المرشحين جميعاً.⁽²⁾ وهناك آراء مماثلة لحوى في الجماعة الأم في مصر التي ظهر فيها أيضاً حالات مماثلة للطليعة في سياق دكتاتورية جمال عبد الناصر، وخرج منها من يقول إن الأنظمة القائمة لا تفهم إلا لغة القوة.

عمار السمر⁽¹⁾

أولاً: المقدمة

تعد الطليعة المقاتلة سابقة في تاريخ الدولة السورية الحديثة لذا من المهم دراستها، لأنها كُرتت تكررًا لا محدودًا بعد الثورة السورية 2011، وستتكرر ما دامت السياقات التي أنتجتها مستمرة. ويجادل بعضهم في أن عد السياقات وردات الفعل أساسية في تفسير ظهور مثل هذه التنظيمات أمر مبالغ فيه، ويندفع هؤلاء بلا هوادة لتأصيل العنف في الإسلام متكئين على آراء بعض الفقهاء والعلماء قديمًا وحديثًا كشيخ الإسلام ابن تيمية، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب، وسعيد حوى⁽³⁾ وغيرهم وصولًا إلى منظري الجهاد في وقتنا الحاضر. الحقيقة أن آراء هؤلاء الفقهاء معروفة وواضحة، ولكن هناك فرق كبير بين وجود الأفكار وانتشارها، فتلك الأفكار والآراء كانت موجودة دائمًا ولكن الجديد قبولها وانتشارها والاستعداد لفعل شيء من أجلها، وهو ما ظهر في مراحل مختلفة من التاريخ الإسلامي ومنطقتنا، ولكن لم يكن بالغزارة التي شهدتها النصف الثاني من القرن العشرين وصولًا إلى اليوم، هذا إذا ما استثنينا النصف الأول من القرن العشرين عندما كانت البلدان العربية والإسلامية تترج تحت الاحتلال الغربية بوصفها قوةاهرة خارجية قبل الحصول على الاستقلالات ووهم الخلاص من الهيمنة الغربية. فحتى اليوم يمكن عد ما يجري في سورية حلقة في سلسلة تشكل التاريخ الحديث والمعاصر لهذه المنطقة الذي بدأ بوضوح في القرن التاسع مع مشكلة ضعف المسلمين ومن يمثلهم والهيمنة الأوروبية على المنطقة وما حملته من تغيرات، وإحدى مكونات هذه الأزمة ما عدَّ استهدافًا مباشر أو غير مباشر للإسلام أو

تنظيم الطليعة المقاتلة الذي نشأ في سورية ونشط فيها خلال سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته، تنظيم سياسي إسلامي سري، انتهج سبيل العمل المسلح لتحقيق أهدافه. ظهر خلال المرحلة التي اكتمل فيها إطباق نظام الأسد على سورية بكل ما جره ذلك من تداعيات وويلات ما زال السوريون يعانونها إلى اليوم.

عند دراسة أي حركة أو تنظيم سواء كان سياسيًا أم عسكريًا وخصوصًا إن كان سرّيًا كالطليعة المقاتلة؛ يقفز إلى الذهن مباشرة عدد من الأسئلة. ما هوية هذا التنظيم؟ ولماذا ظهر؟ ولماذا كان سرّيًا؟ وما أهدافه؟ وما أساليبه لتحقيقها؟ وكيف إذا ما عرفنا أن قيادات الطليعة كانوا جمعياً في سن الشباب ومن الطبقة المتعلمة (أطباء ومهندسين وصيادلة ومعلمين وطلبة جامعات) وباقي منتسبها لم يكونوا بعيدين عن هذه التركيبة وهو ما أثار فضولي وأنا انتقل بين سيرهم الذاتية حافراً في خلفياتهم.

بالنسبة إلى المختصين بالتاريخ السوري الحديث والمعاصر ربما يكتفون بإجابة من كلمتين (نظام الأسد) تعدان شفرة للولوج إلى فهم ما يجري في سورية منذ أكثر من نصف قرن. وبالنظر إلى هذا السياق يمكن عدّ الطليعة المقاتلة من ردادات الفعل الأولى على عنف النظام، حتى إن الطليعة تمردت على تنظيمها الأم جماعة الإخوان المسلمين

(1) دكتوراه في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، أكاديمي وباحث، تتركز أبحاثه على بلاد الشام والعراق وسورية خصوصاً. يعمل حالياً في مركز التخصصات الدينية العليا في مدينة ديتزلي بتركيا. عمل سابقاً في مركز الوثائق التاريخية بدمشق. وأستاذاً في جامعتي الفرات ودمشق في سورية، وفي المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (IFPO) بدمشق وبيروت، وجامعة باموكالي في تركيا. مشارك في برنامج كارا سورية للأكاديميين، شارك في عدد من المؤتمرات والندوات والمشروعات العلمية. له كتاب وعدد من الأبحاث المنشورة في كتب مشتركة ومجلات محكمة، إضافة إلى مقالات رأي دورية. آخر أبحاثه "Land registry in Syria after a decade of conflict: A tale of three cities".

(2) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ط1، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1987)، ج1/ص66.

(3) للمزيد: اسحق وايزمان، سعيد حوى والإحياء الإسلامي في سوريا البعث، حمزة ياسين (مترجمًا)، معهد العالم للدراسات، (2017-8-2)، <http://alaalam.org/ar/translations-ar/>

وتفصيلات مهمة، إضافة إلى احتوائه على ملحق وثائقي من الصعب الوصول إليه. ويكشف أبو مصعب في مقدمته أنه كان يذاكر ما يكتبه مع (الإخوة) من أصحاب الخبرة والتجربة، ما يُفهم منه أنهم ممن شاركوا في أحداث سورية، قبل أن يكشف أن أعضاءً من الطليعة المقاتلة ساهموا معه في كتابة الكتاب الذي صدر باسمه فقط.⁽⁵⁾

وبسبب التداخل ما بين الطليعة وجماعة الإخوان المسلمين والخلافات بينهما كان لا بد من العودة إلى رأي الجماعة من خلال مذكرات بعض قادتها وشهاداتهم، كعدنان سعد الدين، والشيخ سعيد حوى اللذين كتبا عن المرحلة بعد نهاية الأحداث فتناولا الموضوع بحذر وفي بعض الأحيان كان موقفهما دفاعياً أو ردّاً على الاتهامات التي طالت الجماعة ومسؤوليتها عن كثير من الإخفاقات والانتهاكات بالخذلان.

أما رواية السلطة فقد قدمتها في الكتاب الضخم (الإخوان المسلمون-نشأة مشبوهة-وتاريخ أسود) الذي أصدره مكتب الإعداد الحزبي البعثي عام 1985، من دون أسماء مؤلفين. يحوي الكتاب رواية النظام لصراعه مع الحركة الإسلامية التي أراد نشرها لذلك وفر الكتاب في المكتبات العامة ومكتبات المدارس والدوائر الحكومية. يحوي الكتاب -بعيداً من الدعاية الفاقعة للنظام، ومحاولته شيطنة الحركة الإسلامية كلها في سورية- معلومات مهمة منتزعة من قيادات الإخوان والطليعة خلال التحقيقات والتعذيب ومن المراسلات المضبوطة. ويقول حسام جزماتي المتابع للحركة الإسلامية في سورية إنه طوال سنوات من مقارنة المعلومات الواردة في الكتاب بروايات إخوانيين تبين له أن أقسام الكتاب التي تعرض الأحداث يمكن أن تؤخذ كأحد مصادر المرحلة، مع الحذر أننا نتعامل مع مصدر خصم.⁽⁶⁾

وغطيت الفجوات التي في المصادر من خلال المقابلات وخصوصاً التي أجريت مع عددٍ من منتسبي الطليعة المقاتلة أو ممن شاركوا في نشاطها العسكري بعد أن تحول مجرى

(5) أدین هذه المعلومة التي ساعدتني في فك لغز معلومات الكتاب إلى الصديق حسام جزماتي في أحد مناقشاتنا آب/ أغسطس 2023.

(6) من تقديم حسام جزماتي لإعادة نشره مختارات من الكتاب تحوي القسم التوثيقي الموجود في الجزأين الثالث والرابع، نشرها إلكترونياً لتكون متاحةً للباحثين.

تجاهله على الرغم من أهميته في حياة شعوب المنطقة.

عموماً لم تحظَ السبعينيات والثمانينيات في سورية بالدراسة خصوصاً من طرف الباحثين السوريين، ويعود ذلك إلى سببين رئيسيين: عدم توفر الأجواء المناسبة للكتابة الأكاديمية في (سورية الأسد) فالرعب من الأسد طال الباحثين حتى الأجانب الذين حالوا كشف توحشه كميثيل سورا. أما دراسة الطليعة المقاتلة فلم يصلنا عنها كثير بسبب موقف نظام الأسد والمعارضة حتى الإسلامية منها، ويختصر ذلك ما جاء في تقديم كتاب (على ثرى دمشق) ل أيمن الشريجي قائد الطليعة المقاتلة بدمشق أن ((دراسة تلك المرحلة لم تحظَ بدراسة تحليلية تفصيلية، وما يخص الطليعة مغيب عن الناس، فمن جهة طمس النظام بطولات تلك المرحلة أو شوهاها، كما تغافل عنها الإسلاميون وساهموا في تغييبها))⁽⁴⁾.

اعتمدت هذه الدراسة بالدرجة الأولى على المصادر التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات رئيسة تمثل روايات الأطراف الثلاثة الرئيسة التي لها علاقة بالموضوع (الطليعة، والإخوان المسلمون، ونظام الأسد) ووجهات نظرها. تظهر رواية الطليعة المقاتلة من خلال مذكرات قادتها وكتاباتهم كأيمن الشريجي في كتابه (على ثرى دمشق) الذي ركز على نشاط الطليعة في دمشق خلال قيادته لها. وهناك شهادة عدنان عقلة التي سجلها على أشرطة كاسيت -قبل تفرغها ونشرها- خلال وجوده خارج سورية قبل عودته واعتقاله، وركز فيها على الخلاف مع الإخوان المسلمين والمسؤولية عن ما جرى في حماة. أما كتاب (الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد -ذكريات ومذكرات) ل عذاب الحممش، فكان له أهمية خاصة كونه كان مقرّباً من حديد، ما جعله ينفرد ببعض التفاصيل، وما يزيد من أهميته الشهادات الموجودة في ملاحقه.

أما كتاب عمر عبد الحكيم (اسم حركي) المعروف بأبي مصعب السوري المعنون (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا) فله أهمية خاصة على الرغم من تجربة أبي مصعب القصيرة مع الطليعة المقاتلة، فالكتاب يحتوي معلومات

(4)-أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ط1، (لندن: أفق للدراسات والنشر، لندن، 2017)، ص6.

فقد نقل لنا ميشيل سورا أن قادة التشيكلات السياسية المعارضة الذين قابلهم جميعهم يعترفون للإخوان المسلمين بفضلهم الكبير في أنهم أول من كسر جدار الخوف وأخرج المجتمع من سباته، وإن كانوا لا يوافقون على الوسائل المتبعة أي العنف، وطائفية النضال.⁽⁹⁾

يدفعنا كلام حوى إلى العودة إلى بدايات الدولة الوطنية السورية الحديثة، حين ظهر سخط الإسلاميين أو لنقل العلماء المسلمين، بسبب عدم استيعاب كثيرين منهم للمتغيرات التي صحبت الدولة الوطنية التي تساوى فيها الجميع، ولكن هذا الأمر كان يجري استيعابه مع الوقت، وبخاصة أن الجيل الجديد الذي ساهم في تأسيس الدولة الوطنية وكان حاملاً للحدثة والأفكار السياسية الجديدة كان من السُّنة أنفسهم الذين لم يغالوا في تحدي ثقافة البلاد وعاداتها. ولكن تبني الفرنسيين سياسية تقرب الأقليات والمساهمة في صعودها على حساب الأكثرية السنوية، خلق حساسيات جديدة. وفي ما بعد الاستقلال، ونتيجة صعود التيارات السياسية القومية واليسارية ذات الصبغة العلمانية ظلت تلك المشكلة قائمة، وظهرت عند وضع الدستور السوري بعد الاستقلال حيث أراد العلماء أن ينص على أن دين الدولة الإسلام وأن الإسلام المصدر الأساسي للتشريع،⁽¹⁰⁾ بينما رفض أصحاب النزعة العلمانية والأقليات ذلك، وأخيرًا جرى الوصول إلى حل وسط باقتراح الرئيس شكري القوتلي فجُعل التشريع الإسلامي مصدرًا من مصادر التشريع، وأن يكون دين رئيس الدولة الإسلام.⁽¹¹⁾

ما سبق كله كان قبل أن يستولي البعث على السلطة بمكوناته المختلفة وخلفياتها المعروفة، ويرفع سقف التحدي للمجتمع السوري المحافظ إلى مستويات غير مسبوقه، فكانت ردات الفعل في إضراب حماة عام 1964 واعتصام جامع السلطان بقيادة الشيخ مروان حديد قبل أن يؤسس الطليعة المقاتلة، إضافة إلى اعتصام الجامع الأموي عام 1965 الذي دعا إليه الشيخ حسن حبنكة الميداني وعلماء دمشق. وكان رد البعثيين على الاعتصامين كليهما غير

الأحداث إلى انتفاضة شاملة ضد النظام. وقد وُضعت أسماء رمزية لجميع من قوبلوا حفاظًا على سلامتهم وسلامة عائلاتهم.

ثانيًا: الخلفية؛ غضب إسلامي متراكم

بما أن الطليعة قد انطلقت من خلفية إسلامية، فلا بد لنا من التركيز على الرؤية التي توضح تلك الخلفية. يُعد الشيخ سعيد حوى من أهم منظري الإخوان المسلمين المرجعية الفكرية الرئيسية للطليعة المقاتلة، تطرق إلى أهم أسباب المواجهة في سورية التي أتى ظهور الطليعة في سياقها فأثرت في تركيبها وأهدافها وأساليبها، وتتلخص في: إن سورية كانت تشهد انتقاصًا متزايدًا للإسلام، وكان لا بد لأهل الإيمان أن يتصدوا لذلك، فقد كان في سورية صراعًا مستمرًا بين العلمانية اللينة والإسلام، ولكن انتقال السلطة إلى يد حزب البعث عام 1963، جعل الصراع بين العلمانية الملحدة والإسلام. ويضيف حوى: زاد الطين بلة أنه بعد استيلاء حافظ الأسد على السلطة عام 1970 صار الحكم بيد (الطائفة النصيرية)، فازدادت شدة العلمانية الإلحادية.⁽⁷⁾ بعيدًا من ربط حوى ما بين نظام الأسد والعلمانية فهي مسألة معروفة هنا ليس مكان ناقشتها. فكما يقول: اجتمعت عوامل متعددة جعل الوضع لا يطاق، أقلية تتحكم في أكثرية. علمانية ملحدة تتحكم في شعب مؤمن فكان لا بد من وجود ردة فعل. فقد كان هناك خطوات سريعة لاستئصال الإسلام من مرافق الحياة، وملاحقة الإسلاميين وسجنهم أيًا كانوا، ومنهم الإخوان المسلمين، وإخراج المتدينين من سلك التعليم، والاستهتار بالقيم الإسلامية. وزادت القناعة بالمواجهة سياسات القمع والتجوع، واستئصال الفلسطينيين والسُّنة في لبنان. وأجاب حوى عن سؤال: لماذا الإسلاميون هم من بدأ المواجهة؟ فقال: إن نظام الأسد كان قويًا وكثير من الجهات تهيب مواجهته، لذلك كان لا بد من جهة مصممة على الاستشهاد لمواجهته، ولم يكن هناك إلا الإسلاميين.⁽⁸⁾ ويبدو أن المعارضة السورية تعترف بتضحية الإسلاميين،

(9) ميشيل سورا، سورية الدولة المتوحشة، أمل ساره ومارك بيالو (مترجمين)، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، 2017)، ص 74.

(10) المقصود هنا الإسلام السني أو "أهل السنة والجماعة" بمذاهبهم الأربعة فقط.

(11) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 1/ص 18.

(7) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 2/ص 7.

(8) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 2/ص 8.

لأنه يصلي، وقد أثر فيه ما لاقاه في الكلية الحربية من انتشار الكفر⁽¹⁶⁾ والطائفية والفساد، وفي الجيش رأى (النصيرية) بأقوى صورها ضد الضباط السنة، لذلك عندما عرض عليه صديقه عدنان عقل عام 1977 الانضمام إلى الطليعة وافق فوراً.⁽¹⁷⁾

لقد أصبحت الطائفية منذ ستينيات القرن الماضي محرّكاً رئيساً للأحداث في سورية فعلاً وردة فعل، الأغلبية السنة في ردة فعلهم على تحدي هويتهم ومكتسباتهم التاريخية، والعلويون في فعلهم النابع من سياسية الخوف التي تطبع الأنظمة الأقلوية كنظام الأسد فتبقى مرعوبة.⁽¹⁸⁾ على حد تعبير عالم الاجتماع الألماني تيودور هانف الذي يرى أن هذه السياسة خطيرة لأنها تقوم على المجازفة بكل شيء خارج العقلانية، والموضوعية، فقد أصبح الخوف القوة المحركة للسياسة السورية بعد تسلّم الأقلية العلوية زمام السلطة أول مرة في تاريخ سورية. فبعد سنوات من الحرمان الاقتصادي والاجتماعي تسنى للعلويين التمتع بملذات الحكم، ودفعهم الخوف من فقدان السلطة إلى إقامة نظام أكثر شدة من الأنظمة التي عرفتها سورية مسبقاً، ودفعهم الخوف من انتقام الأكثرية المحكومة إلى التصلب في تمسكهم بالسلطة، وجعل النظام لا يتردد في سفك الدماء لقمع أي تمرد ضده، كما حصل عام 1982 في حماة، وللفلسطينيين في لبنان.⁽¹⁹⁾

ثالثاً: التسمية

التسمية وبداية تشكيل التنظيم كانا مدار خلاف، ففي صيف 1974 عندما سأل عرفاء المجموعات المرتبطتين بالشيخ مروان حديد إذا ما كانوا جماعة منفصلة عن الإخوان المسلمين، أجابهم حديد، بأنهم ليسوا تنظيمًا منفصلاً عن الإخوان، بل هم الإخوان، وأنهم يعدون

(16)المقصود التلطف بالألفاظ الكفيرة كسب الذات الإلهية والألفاظ البذيئة وهي شائعة في "الجيش العربي السوري" حتى اليوم.

(17)عزيزة جلود، إبراهيم اليوسف وصفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة في سوريا، (ألمانيا: أكاديمية العلم والسلام، د.ت)، ص16-21.

(18) تيودور هانف، لبنان تعايش في زمن الحرب: من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، موريس صليباً (مترجمًا)، ط1، (باريس: مركز الدراسات العربي الأوربي، 1993)، ص18-19.

(19)تيودور هانف، لبنان تعايش في زمن الحرب: من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، ص18-19.

مسبق في سورية، فقد اقتحم المسجدان بالدبابات وقُتل المعتصمون داخلهما واعتقل آلاف. كان ذلك ((قبل اكتمال التطور العسكري والطائفي للنظام الحاكم)) باستيلاء حافظ الأسد على السلطة، ليصبح رئيساً منتزِعاً هذا المنصب من السنة لأول مرة في تاريخ البلاد على حد تعبير ميشيل سورا.⁽¹²⁾ وليكمل خطواته بتغيير الدستور عام 1973 ويتسبب في عاصفة قوية من الاحتجاجات حرض عليها علماء المسلمين في سورية أغلبهم، ما دفع الأسد إلى التراجع شكلياً ما دام الأمر لا يؤثر في سلطته، فأعاد المادة المحذوفة التي تشير إلى أن دين رئيس الدولة الإسلام، ولجأ إلى صديقه الإمام موسى الصدر زعيم شيعة لبنان فأفتى له أن العلويين مسلمون شيعة، وكان الرجلان قد بدأ بنسج تحالفات على أسس طائفية في المنطقة كان لها تداعيات داخلية وإقليمية نعيشها حتى اليوم. وكان من نتائج ما عُرف ب(أحداث الدستور) عدد غير معروف من الاعتقالات للإسلاميين خصوصاً ومنهم الشيخ سعيد حوى، أما مروان حديد فقد كان متخفياً ومشغولاً بالإعداد العسكري بعد أن يقن بعدم جدوى الاحتجاجات.

يرى كثيرون ومنهم حوى أن العمل المسلح الذي بدأ في السبعينيات كان ردة فعل على عنف السلطة، وقتلها الإسلاميين تحت التعذيب ومنهم مروان حديد الذي اعتقل عام 1975. هذا إضافة إلى الإهانات التي كان يوجهها رجالات السلطة إلى الإسلام والقرآن والمقدسات.⁽¹³⁾ ولا ننسى في هذا السياق تدخل الأسد في لبنان في ربيع 1976، لمصلحة المسيحيين ضد المقاومة الفلسطينية والجهة (الإسلامية-التقدمية)، فقد نظر السوريون إلى تحالف الأسد مع الموارد بوصفه غير طبيعي، ومحاولة لإنشاء محور أقلوي جديد علوي مسيحي.⁽¹⁴⁾ وقد تأثر من سينتسبون إلى الطليعة بهذا السياق، فما هي عزيزة جلود زوجة النقيب إبراهيم اليوسف⁽¹⁵⁾ تقول: إن الفقر والتمييز عوامل ساهمت في تشكيل فكر اليوسف، ولكن الأهم كان محاربة النظام للدين سرّاً وعلانية، حتى أن اليوسف خضع لمحكمة حزبية

(12)ميشيل سورا، سورية الدولة المتوحشة، ص114.

(13)سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ص128-129.

(14)ميشيل سورا، سورية الدولة المتوحشة، ص115.

(15)قائد عملية مدرسة المدفعية بحلب التي نفذها الطليعة المقاتلة وسيأتي تفصيلها.

تغيير الاسم أي ارتباط تنظيمي مع الإخوان المسلمين،⁽²⁶⁾ واستمر هذا الاسم حتى اليوم. بينما يقول عدنان سعد الدين الذي التقى بالزعيم مرات عدة، إنهم كانوا يسمونهم مجموعة عبد الستار الزعيم الذي كان يقول نحن درع للإخوان، أما تسمية (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين)، فقد اخترعها عدنان عقلة.⁽²⁷⁾ حتى إن سعد الدين وسعيد حوى لا يستخدمان في مذكراتهما اسم الطليعة المقاتلة بل جماعة مروان، ولكن في الوقت نفسه نرى (النذير) النشرة الإخبارية المطبوعة للإخوان تستخدم تسمية (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين) بل تنشر بينها.⁽²⁸⁾ وفي هذه الدراسة استخدمنا (الطليعة المقاتلة) حتى لا يحدث اللبس مع جماعة الإخوان.

وبعد انطلاق الثورة السورية عام 2011 أُطلق اسم الطليعة المقاتلة على إحدى تشكيلات (هيئة دروع الثورة) التابعة للإخوان المسلمين، ولكن سرعان ما ظهر بيان باسم (اللجنة التنسيقية للطليعة المقاتلة (الأم)) نفي أي علاقة لهم بفرع التنظيم الدولي لإخوان سورية واستنكروا استخدام اسمهم.⁽²⁹⁾ وتصل البيان نفسه من أي علاقة بمجموعة أخرى سمت نفسها (كتائب الطليعة المقاتلة) في حلب.⁽³⁰⁾ الرغبة في استخدام تسميات تتعلق بالطليعة المقاتلة تدل على رغبة الثوار السوريين في استلهام إرث الطليعة المقاتلة.

رابعاً: مراحل مسيرة الطليعة المقاتلة

بدأت الطليعة المقاتلة فكرة لدى الشيخ مروان حديد عضو جماعة الإخوان المسلمين السورية الذي ظل حتى نهاية حياته يرى نفسه جزءاً منها، وكان يرى تنظيمه جزءاً

أنفسهم من جماعة الإخوان، وأن لم يكونوا من تنظيم الإخوان. وسألوه عن اسم التنظيم؟ فقال أي اسم معبر، ك (جماعة المسلمين) أو (أنصار الإسلام) أو (حزب الله)، فالاسم لم يكن مهمًا بالنسبة إليه لأنه مؤقت ريثما يستفيق قادة تنظيم الإخوان، فعندها يعود إلى الأصل،⁽²⁰⁾ قال: ((مهمتنا تنتهي عندما تتبنى الجماعة الجهاد والعمل العسكري))⁽²¹⁾. وفي ما بعد استخدام المراقب العام للإخوان المسلمين عدنان سعد الدين تمسك حديد بتبعيته لجماعة الإخوان للتشكيك في شرعية الطليعة المقاتلة ورأى أن نسب تأسيسها إلى حديد محض افتراء لأنه لم يقل قط إنه خارج الجماعة.⁽²²⁾ على الرغم من أن الجماعة كانت قد انقسمت منذ أواخر الستينيات.⁽²³⁾

يقول عذاب الحمش إنه حين ترك العمل العسكري مع الشيخ مروان في 1974/11/3، لم يكن حديد قد شكل تنظيمًا خاصًا به، ولا أطلق على مجموعته أي تسمية خاصة، ولكن في 1975 أطلق على تنظيمه اسم (حزب الله) وكان شعار التنظيم المسلح قنبلة وبنديقية كلاشنكوف.⁽²⁴⁾ بينما يرد في كتاب (على ثرى دمشق) لقائد الطليعة بدمشق أيمن الشريجي، وعلى لسان مقدمه الذي كان من رفاق الشريجي: أن الشيخ مروان حديد قرر عام 1970 تأسيس تنظيم جهادي مسلح مستقل تمامًا عن جماعة الإخوان المسلمين باسم (الطليعة المقاتلة لجدد الله)،⁽²⁵⁾ وكانت النشرات الداخلية تصدر بهذا الاسم حتى عام 1979، حين قرر قائد التنظيم آنذاك عبد الستار الزعيم تغيير الاسم إلى (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين)، ولم يُقصد من

(20) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، دراسة توثيقية تحليلية، (د. م. أكاديمية العلم والسلام، 2015)، ص 232.

(21) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 424.

(22) عدنان سعد الدين، الإخوان المسلمون في سورية- مذكرات وذكريات، 4 مجلدات، (د. م. دار عمار، دت)، مج 3/ص 386.

(23) انقسم الإخوان في عام 1970 إلى ثلاث فرق: الأولى مجموعة دمشق وعلى رأسها عصام العطار، والثانية مجموعة حلب وعلى رأسها عبد الفتاح أبو غدة، والثالثة على الحيات تضم مراكز الإخوان في حماة وإدلب ودير الزور. سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 1/ص 90.

(24) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 242.

(25) هذه التسمية ترد في رواية النظام، وبأن حديد وضع أسس إقامة تنظيم مسلح داخل الإخوان المسلمين. الإخوان المسلمون- نشأة مشبوهة- وتاريخ أسود، 4 أجزاء، حزب البعث، (دمشق: منشورات مكتب الإعداد الحزبي، 1985)، ج 3/ص 40.

(26) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 6-7.

(27) شهادة عدنان سعد الدين، برنامج شاهد على العصر، الحلقة (5)، قناة الجزيرة، (10-07-2012) <https://www.youtube.com/watch?v=b7NSQZ2liHw> شوهد 2023-09-13.

(28) "النذير" (نشرة إخبارية)، العدد 7، 15، نيسان/ أبريل 1980. أصدرها الإخوان المسلمين في سوريا- التنظيم العام.

(29) نص البيان في: موقع الدرر الشامية، (2013-05-21)، على الرابط: <https://eldorar.com/node/10550> شوهد 2023-08-01.

(30) فيديو إعلان تشكيل كتائب الطليعة المقاتلة في حلب، (2012-08-10)، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=HrhJVfH5hQI> شوهد 2023-08-01.

جمال عبد الناصر الذي قمع الإسلاميين ومنهم حديد الذي سُجن في مصر. وبعد عودته إلى سورية عام 1964 نهض ضد حكم حزب البعث الذي أظهر تحديًا كبيرًا للثقافة والعادات الإسلامية فكانت أحداث مسجد السلطان في حماه عام 1965 التي قادها مروان حديد، ليرد البعثيون بقصف المسجد والقبض على حديد وأتباعه والحكم عليه بالإعدام، قبل أن يتدخل عالم حماة الكبير الشيخ محمد الحامد ويستصدر له عفوًا من الرئيس أمين الحافظ، ولكن هذا لم يثنه عن عزمه خصوصًا بعد ظهور عامل جديد في السياسة السورية بشكل فج وهو تحكّم الأقليات في السلطة وصولًا إلى استيلاء حافظ الأسد عليها وسلوكه سبيل التضامن الطائفي وسيلة أساسية لثبوت حكمه واستمراره، مع ما شكله ذلك من تحدٍ لسوريين بشرائحهم المختلفة وبخاصة المسلمين المحافظين، ومع تنامي الطائفية وصعود الأقليات وبخاصة العلويين في الجيش والأجهزة الأمنية وصل التمثل حتى إلى العامة.

كان حديد عضوًا في الإخوان المسلمين الذين يميلون في الأصل إلى العمل الدعوي والسياسي، ولكن على الرغم من ذلك ظهر بينهم من تسهويه فكرة الجهاد والسلاح وبخاصة الشباب، وكانت قيادة الجماعة في حماة تخشى هذا التوجه، وعلى الرغم من ذلك شكّلت مجموعة مسلحة بالسلاح الأبيض عطلت الحفلات الغنائية والراقصة، ولكن سرعان ما انتهى ذلك التشكيل.⁽³¹⁾ وعلى الرغم من تحذير بعض العلماء كالشيخ محمد الحامد من خطورة تغلغل حزب البعث في وزارة التربية وسيطرته على الثقافة في سورية، وتغلغل أكرم الحوراني وحزبه في الجيش، لكن دعوته لم تلقَ اهتمامًا، وقد دعا الحامد الشباب المسلم إلى التوجه إلى الجيش.⁽³²⁾

بعد تشكيل البعث ميليشياته المسلحة (الحرس القومي) وإساءتهم للدين، فكر حديد بأنه لا مجال للدفاع عن الدين إلا بالقوة، وصار يُخرج الشباب في مسيرات ليلية مع تدريبهم على الهجوم والكمائن، ويشجعهم على اقتناء السلاح والتدريب عليه.⁽³³⁾ وصارت فكرة الجهاد

(31) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 1/ص 27.

(32) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 1/ص 28.

(33) شهادة رشيد العيسى، في: عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد:

منها، مع ذلك فإن بعض أعضاء الطليعة قطعوا في ما بعد أن الشيخ مروان قرر عام 1970 تأسيس تنظيم جهادي مسلح مستقل تمامًا عن جماعة الإخوان المسلمين باسم (الطليعة المقاتلة لجنّد الله). بينما يرى بعض أن التأسيس الحقيقي للطليعة يعود إلى عام 1974 أو 1975 حينما حدثت النقلة النوعية مع التنظيم الدقيق، وتتويج ذلك عام 1976 بترتيب خطط المواجهة مع تسلّم الدكتور عبد الستار الزعيم قيادة التنظيم.

ويمكننا من خلال متابعة نشاط التنظيم والسياق السوري أن نميز أربع مراحل رئيسة في مسيرة الطليعة المقاتلة، وهي: مرحلة التأسيس والبدایات واستمرت حتى اعتقال المؤسس عام 1975، والثانية مرحلة العمل المنظم والانطلاقة العملية (1976-1979) منذ تسلّم عبد الستار الزعيم قيادة التنظيم حتى عملية مدرسة المدفعية وقبلها سنتان انتقاليتان في حياة التنظيم ما بين اعتقال حديد وتسلّم الزعيم، والثالثة مرحلة المواجهة المفتوحة مع السلطة (1979-1982) من عملية مدرسة المدفعية إلى معركة حماة، وأخيرًا مرحلة الانكفاء والتلاشي (1982-1985).

1. مرحلة التأسيس والبدایات: (مخاض داخل الجماعة)

أ. البداية من المؤسس مروان حديد

تأسيس الطليعة المقاتلة في بداية السبعينيات لم يكن بداية عمل الشيخ مروان حديد مع ما يمكن تسميته العمل الجهادي، بل كانت خاتمة مسيرته وثمرتها التي تبلورت بعد مقتله في معتقله، وتتسق مسيرته تلك مع نمو تيار (الصحة الإسلامية) الذي تصاعد بعد هزيمة حزيران/ يونيو 1967 وانكشاف عورة الأنظمة القومية واليسارية التي تحولت إلى دكتاتوريات.

كان حديد قد بدأ نشاطه في حماة، وأكمله خلال دراسته الهندسة الزراعية بالقاهرة، وهناك تأثر بفكر تلامذة مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا، وفي مقدمتهم سيد قطب الذي أيد نهج الكفاح المسلح ضد

الأردن عُرفت باسم (معسكرات الشيوخ) وصل عددها إلى ثمانية. ولكن قيادة الإخوان في سورية رفضت المشاركة لدواعي الأمنية، على الرغم من محاولة مروان إقناعهم، فأرسل بمفرده مجموعات من شباب الإخوان إلى معسكرات التدريب، من دمشق وحمص وحملة وحلب والساحل، فردت قيادة مركز حماة للإخوان بفصله وكل من التحق بالتدريب وعددهم أكثر من ستين.⁽³⁹⁾

كان الالتحاق بالمعسكرات سريعاً، لذلك كان مروان يرسل المجموعات عبر رشيد العيسى في دمشق الذي يرسلها بدوره إلى الأردن، بعد تزويدهم ببطاقات فدايين من مكتب فتح بدمشق بأسماء مستعارة، ويقطعون الحدود من نقاط الكفاح المسلح. وكان الإخوان السوريون أكبر مجموعة في قواعد الشيوخ من خارج الأردن.⁽⁴⁰⁾

زار حديد معسكرات التدريب وقواعد الفدائيين، وكان تلامذته أغلب الدفعة الأولى من الإخوان السوريين عام 1969، برزوا في العمل الفدائي كعبد الستار الزعيم وحسني عابو ورشيد العيسى وفريد قداح،⁽⁴¹⁾ وغالب كيلاي، وعمر جواد، وعبد الرحمن نوح.⁽⁴²⁾ وأصبح بعضهم قادة في الطليعة المقاتلة خلال السبعينيات والثمانينيات، فقد خلف الدكتور عبد الستار الزعيم حديد في القيادة، ووقع على عاتقه تحويل مجموعة الشيخ مروان إلى تنظيم قوي، وحسني عابو أصبح قائد الطليعة في حلب، وعمر جواد قائدها في صدامها الأخير مع النظام عام 1982 في حماة.⁽⁴³⁾

وقد تكونت في تلك المعسكرات علاقات استفادت الطليعة من بعضها كالعلاقة مع فتح وعرفات. وكانت مكان اللقاء مع بعض من أصبحوا أصحاب تجارب جهادية

(39) عدا بدمشق، رشيد العيسى، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 143.

(40) شهادة رشيد العيسى، في: عدا بدمشق، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 382-380. كذلك غسان محمد دوعر، قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968-1970، ص 66-68.

(41) أصيب واعتقل في المواجهة عند اعتقال حديد عام 1975. أيمن أحمد الشريحي، على ثرى دمشق، ص 60.

(42) غسان محمد دوعر، قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968-1970، ص 67-68 و76.

(43) حسام جزماتي، في تكوين العنف الإسلامي السوري، موقع تلفزيون سوريا، (2019-6-10) <https://www.facebook.com/syrtelevision/posts/1091895041006049>

شغله الشاغل، وكان يرى علماء المسلمين مقصرين لعدم حضهم على الجهاد، وقيادة الإخوان تخالف الكتاب والسنة في مسألة الجهاد، إضافة إلى منهج الجماعة. وكان يخالف الإخوان في مسألة الانتخابات والبرلمانات ويرى أنها لن تقيم دولة الإسلام.⁽³⁴⁾ لذلك عندما ظهرت له الفرصة بعد هزيمة حزيران/ يونيو 1967 لتحقيق أفكاره بالإعداد للجهاد سرعان ما استغلها.

ب. معسكرات الشيوخ: فدائيون لفلسطين وسورية

انتشر بعد هزيمة حزيران/ يونيو 1967 العمل الفدائي، وبدأت المنظمات الفلسطينية تجذب الشباب العربي والفلسطيني. وفي حماة كان الأستاذ الفلسطيني محمد سعيد طرورية مسؤول حركة فتح يعمل لربط العمل الفدائي بفاعليات المدينة، ومنهم مروان حديد الذي كان هاجسه تدريب شباب الإخوان على القتال. فطلب طرورية منه زيارة الأردن للقاء ياسر عرفات،⁽³⁵⁾ وزيارة قواعد الفدائيين، ولكنه اعتذر وأرسل رشيد العيسى⁽³⁶⁾ الذي التقى بعرفات وزار القواعد. وفي 1968 زار حديد معسكرات تابعة لحركة فتح حول دمشق.⁽³⁷⁾

وفي بداية عام 1969 اتخذ المكتب التنفيذي العام للإخوان المسلمين الذي يمثل المراقبين في الدول العربية، قراراً بالمشاركة في بالعمل الفدائي في فلسطين بالتعاون مع فتح،⁽³⁸⁾ وبدأ افتتاح معسكرات خاصة للإخوان في

ذكريات ومذكرات، ص 195.

(34) من أحاديث مروان، في: عدا بدمشق، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 212.

(35) يقول عبد العزيز علي المصري قائد معسكرات الإخوان في فتح، إن التحاق الإخوان المسلمين بالعمل الفدائي كان مبادرة من ياسر عرفات بعد أن لاحظ ضعف تمثيل الإسلاميين مقابل اليساريين في العمل الفدائي. عدا بدمشق، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 2016.

(36) الدكتور رشيد عيسى كان قيادياً في الإخوان المسلمين السوريين - التنظيم العام.

(37) شهادة رشيد العيسى، في: عدا بدمشق، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 378-379.

(38) اتفق وفد من قيادات الإخوان مع وفد من حركة فتح برئاسة ياسر عرفات على إنشاء قواعد فدائية خاصة للإخوان تحت راية فتح. على أن تزود الجماعة هذه القواعد بالمتطوعين والكوادر، وتموئها فتح بالسلح والذخيرة وغيره، وتكون للإخوان الحرية في التدريب والمناجح التربوية. على أن تعلن العمليات التي ينفذها الإخوان باسم فتح، وقد شاركوا في كثير من العمليات الفدائية ضد إسرائيل وسقط لهم شهداء. غسان محمد دوعر، قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968-1970، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2018)، ص 53-58 و66 و85-88.

حكم إسلامي رشيد.⁽⁴⁹⁾

اعتمد حديد على طلابه القدامى أصحاب الخبرة من العمل الفدائي لتنفيذ مخططه في تنظيم الشباب ضمن خلايا مسلحة وتدريبهم، ومنهم (عبد الستار الزعيم، غالب حداد، محمد عجوج، فيصل غنامة، أمين أصفر، عدا ب الحمش)⁽⁵⁰⁾ الذين عُدا عرفاء فصائل، وكان لكل منهم مجموعة خاصة مرتبطة به يدرّبها، وهذه المجموعات الستة إضافة إلى أخرى سابعة أصبحت نواة تنظيم مروان حديد العسكري في حماة.⁽⁵¹⁾

استمر حديد في تدريب الشباب وتسليحهم من 1971 وحتى 1974 وكانت الأمور تسير بانتظام، وعدد الشباب يزداد باطراد في حماة، وحلب ودمشق وحمص وإدلب ودير الزور، والخيوط جميعها مشدودة إلى يده.⁽⁵²⁾ فقد أقيمت معسكرات عدة للتدريب بقيادة (الزعيم، وغالب حداد، وموفق عياش) في غابات الساحل كالفرلق،⁽⁵³⁾ وكان المعسكر يضم ما بين 30 و40 متدرّبًا من مختلف المحافظات، وكان يجري التمويه باستخدام المتدربين أوراقًا مزورة وملابس من مفوضية الكشافة. وجمعت التبرعات لشراء السلاح لخلايا التنظيم. وهكذا أصبح هناك في أواخر 1974 عددًا كبيرًا من الخلايا المدربة على السلاح والمستعدة للقيام بأي عمل.⁽⁵⁴⁾

وفي بداية عام 1975 شكّلت لجنة العمل الأولى بحلب وضمت حسني عابو مسؤول الطليعة في حلب، وزهير زقلوطة نائبًا له، وعدنان عقلة مسؤولًا عسكريًا، وزهير الخطيب مسؤولًا عن التنظيم العام. أما في دمشق فقد أيد دعوة مروان حديد توفيق بركات وجماعته، لكنه سرعان ما تراجع وتابع مع حديد (عرفان المدني، جمال عماري، ظافر البدوي، أيمن الشريجي، بسام فرعون، عبد الناصر

بارزة كالشيخ عبد الله عزام أهم قادة المجاهدين العرب في أفغانستان لاحقًا، وكان قائد عبد الستار الزعيم في العمل الفدائي. ورافق عزام جثمان أحد المتطوعين السوريين إلى حماة في أيلول/ سبتمبر 1970، وهناك التقى بمروان حديد ووصفه بأنه ((قنبلة موقوتة مرفوع صاعقها)).⁽⁴⁴⁾ ولم تنقطع العلاقة بينهما، فقد زار عزام حديد في مخبئه في دمشق قبل مدة قصيرة من مدهامته والقبض عليه عندما كان يعد لمواجهة النظام.⁽⁴⁵⁾

استمر التدريب في معسكرات الشيوخ حتى أيلول/ سبتمبر الأسود 1970 والصدام بين الفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني الذي رفض الإخوان المشاركة فيه فجرى تسريحهم وإغلاق المعسكرات.⁽⁴⁶⁾ وقبل ذلك كان قائد معسكرات الشيوخ قد أرسل رسالة إلى مروان بعدم إرسال شباب جدد، والتجهز لاحتمال نقل بعض السلاح المتوسط إليه.⁽⁴⁷⁾

ج. تشكل نواة الطليعة العسكرية

بعد إغلاق معسكرات الشيوخ، وعودة المتدربين ظن مروان حديد أن هؤلاء سيكونون نواة كتائب تنظيم إخواني مسلح، لكن قيادة الإخوان حاولت استيعابهم فرجعت عن قرار فصلهم وسمحت لهم بالعودة إلى الجماعة باستثناء مروان الذي رفض رفضًا قاطعًا مشورة بعض المقربين منه بتشكيل تنظيم جديد، وكان يقول إنه يعمل على تدريب الشباب على السلاح، حتى يهدي الله قيادة الجماعة لتبني خط الجهاد فنكون جاهزين.⁽⁴⁸⁾ ويقول أيمن الشريجي إن الشيخ مروان أمام الرفض الذي واجهه وضع خطة لبناء التنظيم الجديد من مراحل عدة: تبدأ بالتعريف الفكري، ثم الاستيعاب التنظيمي، ومرحلة الإعداد والتدريب، ثم الصدام مع النظام. والهدف إسقاط النظام الظالم وإقامة

(44) حسام جزماتي، في تكوين العنف الإسلامي السوري.

(45) عبد الله عزام، في ظلال سورة التوبة، (بيشاور: مركز الشهيد عزام، د.ت)، ص.9، على الرابط: <file:///C:/Users/pc/Downloads/35362232.pdf> شوهة 21-8-2023

(46) غسان محمد دوعر، قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968-1970، ص.64-65.

(47) عدا ب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص.225.

(48) عدا ب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص.226-227.

(49) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص.55-56.

(50) هؤلاء جميعهم قتلوا لاحقًا إلا عدا ب الحمش صاحب كتاب مروان حديد.

(51) عدا ب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص.227-228.

(52) عدا ب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص.229-227.

(53) غابات جبلية كثيفة في شمال مدينة اللاذقية.

(54) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص.59 و71.

كان حديد لا يستعجل الصدام مع السلطة لأنه ما زال في مرحلة الإعداد، وجاء انتقاله إلى دمشق لاستكمال الإعداد، فأبى جانب الإعداد العسكري أراد الدعوة لأفكاره والاتصال بمشايع الشام للإعداد للثورة في سورية كلها. وممن ذكرتهم المصادر الشيخ حسن حبنكة الميداني الذي رد بأن العاصفة قوية ويجب التوقف عن أي عمل يثير المضرة،⁽⁵⁹⁾ وقد قابل الشيخ محمد عوض تلميذ الشيخ عبد الكريم الرفاعي الذي ما يبدو لم يتجاوب بدعوته.⁽⁶⁰⁾ وقبل اعتقاله بفترة قصيرة وجه من مخبأه في دمشق بياناً⁽⁶¹⁾ للعلماء وقادة الإخوان وغيرهم من الحركات الإسلامية يحضهم على الجهاد، وأرسل بيانه للعلماء في المحافظات، ويبدو أن التجاوب كان ضعيفاً، فعندما وصل البيان على سبيل المثال إلى الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، قال لحامله هذا جنون ولم يعلق بكلمة أخرى.⁽⁶²⁾ على الرغم من حرص مروان على حضور صلاة الجمعة عند البوطي بدمشق عند يكون فيها.⁽⁶³⁾

يقول الحمش ربما كان ذلك البيان السبب الذي دفع السلطة إلى تسريع اعتقاله وقتله، لتبدأ مرحلة جديدة في مسيرة مجموعة مروان حديد بوصفها تنظيمًا مستقلًا لكن من دون قطيعة مع الإخوان المسلمين.

2. مرحلة العمل المنظم والانطلاقة العملية (-1976 1979)

تبدأ هذه المرحلة منذ تسلم عبد الستار الزعيم قيادة التنظيم عام 1976، وصولاً إلى عام 1979 حين بدأت المواجهة المفتوحة مع السلطة. أما المرحلة ما بين اعتقال حديد عام 1975 وحتى تسلم الزعيم فيمكن عدّها انتقالية، فقد كان لرفض حديد وضع هيكل تنظيمي لجماعته -كما

عباسي، رياض حمو ليلي، مصطفى عيسى، موفق عياش) وأصبح عرفان المدني قائدًا للطليعة ونائبه ظافر البدوي، وانضم إليهم عدد من الأعضاء لاحقاً ومنهم يوسف عبید⁽⁵⁵⁾ الذي تولى قيادة الطليعة في دمشق لفترة قبل اعتقاله.

د. مخاض الطليعة

يمكننا القول إنه حتى عام 1974 لم تكن جماعة مروان قد أخذت شكلاً تنظيمياً معيناً، ولم يكن لها منهج تنظيمي مدني أو عسكري، وأهدافها المعلنة الشهادة في سبيل الله فقط. ومع تزايد الشباب الملتحقين بالطليعة في المحافظات التقى في ذلك العام عرفاء فصائل حماة التابعين للشيخ مروان وناقشوا في ما بينهم الأمور التنظيمية، وكان رأيهم تشكيل تنظيم بعيداً عن الإخوان المسلمين. وقد حملوا أسئلتهم إلى شيخهم في مخبئه بدمشق.⁽⁵⁶⁾ وأجوبة الشيخ تقدم لنا فكرة عن تصوره لما يقوم به وهدفه، يمكن عدّها جزءاً من المنهاج الذي سار عليه تلامذته في الطليعة المقاتلة بعد مقتله.

لقد أكد مروان أنهم ليسوا تنظيمًا منفصلاً عن الإخوان، بل هم الإخوان،⁽⁵⁷⁾ حتى عندما سأله عرفاء الفصائل، ما الشكل التنظيمي لحركتنا؟ وحدود صلاحيات القائد الأعلى وعرفاء المجموعات؟ لم يرق له السؤال وعدّه مبكراً، فقد كان يعي صغر حجم مجموعته التي لا تتعدى عشرات الشباب في مختلف المحافظات. ولكن كلامه لم يقنع شبابيه الذين أرادوا مزيداً من التنظيم وتحديد الصلاحيات والتخصصات، فأعاد حديد التأكيد أنهم فصيل من الإخوان المسلمين، ومتى تبنى التنظيم خط الجهاد، فهو لديه التخصصات كلها، وطلب منهم عدم تشتيت جهودهم في شيء مفروغ منه.⁽⁵⁸⁾ وكان لعدم وجود هيكل تنظيمي آثار سلبية في المجموعة بعد اعتقال حديد.

(59) رياض الخوام، قصص الشيخ سعيد الطنطاوي عن العلماء وأقواله (2)، موقع رابطة العلماء السوريين، 3 أيار/ مايو 2020، على الرابط: <https://bit.ly/48t0g2a> شوهده 19-08-2023.

(60) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص419.

(61) انص البيان كاملاً في: عمر عبد الحكيم، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، جزءان، الجزء الأول: التجربة والعبء (الأم والعبء)، (د. م: 1991)، ص74-89. اسم المؤلف حري، أما الحقيقي مصطفى الست مريم، المشهور بأبي مصعب السوري.

(62) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص435.

(63) شهادة رشيد العيسى، في: عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص368.

(55) د.م. الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة، ج3/ ص41.

(56) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص227-228.

(57) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص232-233.

(58) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص353.

قطاع لجنة عسكرية مستقلة، وترتبط اللجان جميعها بقيادة مركزية واحدة أصبح مقرها في حماة بعد أن كان في دمشق منذ تأسيسها:

-قطاع حماة وحمص: بقيادة عبد الستار الزعيم، وتولى القيادة في حمص مدة قصيرة عبد المعين السيد حتى مقتله. وهذا القطاع بقي تحت قيادة القائد العام للطليعة في السنوات اللاحقة.

-قطاع حلب وإدلب ودير الزور والساحل، بقيادة حسني عابو،⁽⁶⁹⁾ وعدنان عقلة (ممثل الطليعة في الخارج في ما بعد)، وإبراهيم اليوسف⁽⁷⁰⁾ (القائد العسكري في قطاع حلب).

-قطاع دمشق وريفها: بقيادة يوسف عبيد، وأيمن الشريجي، وكذلك أحمد زين العابدين.⁽⁷¹⁾

وخلال قيادة الزعيم كان هناك تعاون بين الطليعة والإخوان المسلمين، فقد التقى مرات عدة بمراقب الإخوان عدنان سعد الدين الذي قدم بحسب قوله مبالغ بسيطة للطليعة (3500 ليرة شهرياً) من خارج صندوق الجماعة نفقات معيشة للمساجين والمطاردين. واتفق الرجلان على فصل العمل بين مجموعة الزعيم والجماعة، واستمر هذا الوضع حتى إعلان السلطة الحرب على الإخوان المسلمين بعد حادثة مدرسة المدفعية.⁽⁷²⁾ فقد كانت قيادة الجماعة ترفض العمل العسكري، حتى إن سعد الدين حلّ -عندما تسلم منصبه مراقباً عامّاً للإخوان في -1976 ثلاث مجموعات عسكرية كان قد شكلها الإخوان في دمشق وحلب وحماة.⁽⁷³⁾ سعد الدين وباقي قادة الجماعة يؤكدون عدم علاقتهم بالطليعة ونشاطها، ولكن أعمالهم على الأرض لا تتوافق مع ما يقولون، فمثلاً كيف ولماذا التقى المراقب القادم من خارج سورية سرّاً بقائد الطليعة الأكثر سرية؟ ولماذا تكررت اللقاءات داخل سورية وخارجها؟

مر معنا- آثار سلبية، فبعد اعتقاله أصبح التنظيم من دون رأس نظراً إلى عدم تعيين نائب له. فمر التنظيم في تلك المرحلة بمحن متلاحقة كادت تؤدي به، فبسبب اعتقال عضوين أحياء كانا مع حديد استطاعت أجهزة الأمن تحت التعذيب كشفت المزيد من عناصر التنظيم واعتقالهم خاصة في دمشق وحماة، أما حلب فلم يكشف أمر أحد منها، وخلال هذه الفترة تعاقبت على التنظيم عدة منظومات قيادية، قُتل أو اعتقل أكثرهم في ظل الفوضى التي أعقبت اعتقال حديد، ومنهم أمير التنظيم في دمشق الشيخ عرفان المدني⁽⁶⁴⁾، وخلفه المهندس موفق عياش⁽⁶⁵⁾، وغيرهم في مواقع قيادية.⁽⁶⁶⁾ كانت ضربة قوية للتنظيم الذي كان في مرحلة الإعداد، ولم يبدأ بتنفيذ العمليات العسكرية ضد السلطة التي اعتقدت أنها تمكنت من إنهاء خطر مجموعة حديد. وربما كان هذا سبباً في إبعاد الشبهة عنهم عندما قاموا بعمليات اغتيال واسعة في السنوات اللاحقة.

أ. قيادة عبد الستار الزعيم وانطلاق الطليعة

يعد عبد الستار الزعيم الذي تسلم القيادة عام 1976 بعد مشاورات مع الفاعلين بالتنظيم، القائد الذي بلور تنظيم الطليعة بشكله الذي عرفناه. وقد أجمعت المصادر التي تمثل وجهة نظر الإسلاميين على أن الزعيم كان شخصية شديدة المراس، دقيق التنظيم، استراتيجي التفكير.⁽⁶⁷⁾ فقد وضع الأسس التنظيمية الصارمة لحماية التنظيم، وكذلك الأسس الاستراتيجية للمعركة القادمة مع النظام، ومنها اتباع أسلوب حرب العصابات في المدن، ووضعت خطة لخمس سنوات، إلا أن التطورات في سورية إضافة إلى دخول جماعات أخرى على الخط أفسدت الخطة، وكادت تقضي على الطليعة المقاتلة عام⁽⁶⁸⁾ 1980.

لقد قسمت سورية إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، وفي كل

(64) عالم دين، وخطيب ومدرس في مساجد عدة في دمشق. أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 65

(65) مهندس ميكانيك، من مواليد حماة 1948، تدريب في معسكرات الفدائيين الفلسطينيين وشارك في عمليات داخل فلسطين. أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 66.

(66) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 8 و 61-62.

(67) شهادة رشيد العيسى سنة 2004، في: عذاب الجمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 384. كذلك سعد الدين، شاهد على العصر - الحلقة (5).

(68) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 8.

(69) حسني عابو من مواليد حلب 1950، خريج كلية الشريعة.

(70) قُتل في 2 حزيران/ يونيو 1980.

(71) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 9.

(72) عدنان سعد الدين، المذكرات، مج 3/ ص 389-391.

(73) عدنان سعد الدين، المذكرات، مج 3/ ص 380-381.

ب. الطليعة والمواجهة غير المعلنة مع النظام: الاجتياالات

تنفيذاً للمنهج الذي وضعه الزعيم بدأت الطليعة منذ شباط 1976 بعمليات الاجتيال التي استهدفت شخصيات مؤثرة في نظام الأسد ومن الطائفة العلوية بالتحديد كونها المتحكمة في السلطة، وعدتها الطليعة انتقاماً لضحايا السلطة ومنهم مؤسسها مروان حديد. فقد أزدت الطليعة توجيه ضربات للنظام، إضافة إلى إشعار العلويين بالخطر للتخلي عن النظام.⁽⁷⁴⁾ وكانت أول عملية اغتيال للمقدم محمد غرة مسؤول الأمن العسكري في حماة، واغتالت الدكتور محمد الفاضل،⁽⁷⁵⁾ الحقوقي الذي عُد مقرباً من حافظ الأسد، والعميد عبد الكريم رزوق آمر سلاح الصواريخ عام 1977، وغيرهم.⁽⁷⁶⁾ واستمرت الطليعة في اغتياالها في السنوات اللاحقة حتى طالت عشرات الشخصيات البارزة في النظام أو من تراهم مؤيدين له.⁽⁷⁷⁾

استخدمت الطليعة تكتيكات جديدة ومنظمة في عمليات الاجتيال التي استمرت من سنة 1976 إلى 1979. التي كان الزعيم وباقي قادة الطليعة يشاركون فيها بأنفسهم، ومن تكتيكاتهم: السرية في العمل وعدم علم أحد من وراء عمليات الاجتيال، والفصل بين العمليات بفترات زمنية لتهدأ السلطة، والابتعاد عن فكرة الاجتيال الجماعي لعدم إعطاء السلطة الحجة للانتقام من الشعب، إضافة إلى الابتعاد عن المواجهة المكشوفة مع السلطة لأنها تؤدي إلى قتل الأبرياء، وتجنيد العناصر من الدائرة الضيقة وعدم التوسع فيه.⁽⁷⁸⁾

كانت العمليات في البداية شديدة السرية على النظام والإسلاميين وعامة الشعب،⁽⁷⁹⁾ لذلك اتهمت السلطة

(74) عمر العيسو، الشهيد "القائد عبد الستار الزعيم"، رابطة أدباء الشام، (2016-6-30).
<https://bit.ly/3EKFPjz> شوهد 2023-08-30.

(75) كان الفاضل قد ألقى كلمة مؤثرة جداً في حفل التأبين الذي أقامته جامعة دمشق لمصطفى السباعي مؤسس الإخوان المسلمين في سورية. كلمة محمد الفاضل في تأبين مصطفى السباعي عام 1964، معاد نشرها في موقع التاريخ السوري المعاصر، <https://bit.ly/3Pw27d0> شوهد 2023-08-30.

(76) عمر العيسو، الشهيد "القائد عبد الستار الزعيم".

(77) لمزيد حول أبرز من اغتيلوا: دم، الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة، ج/4 ص 196-221.

(78) عمر العيسو، الشهيد "القائد عبد الستار الزعيم".

(79) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، عمر الخالدي

خصومها النظام العراقي والكتائب اللبنانية بذلك بإيحاء من الصهيونية. ولإرضاء رأيها العام قبضت على بعض الحمويين وأعدمتهم قبل أن تقبض على مهدي العلواني عضو الطليعة الذي أقر بمسؤولية الطليعة، لكن النظام أعلن للرأي العام أن الإخوان المسلمين هم المسؤولون، وأعدم فوراً 15 معتقلاً منهم أغلبهم أطباء ومهندسون ممن لا علاقة لهم بالأمر.⁽⁸⁰⁾

هناك من يعتقد أن المخابرات العراقية ربما تكون وراء كشف الطليعة، ففي تلك المرحلة حدث تقارب بين النظامين العراقي والسوري في إثر اتفاقية كامب ديفيد، وكان عدد من عناصر الطليعة والإخوان قد هربوا إلى العراق وتواصلوا هناك مع السوريين من جماعة البعث العراقي. وهناك رأي آخر يقول إن المخابرات الأردنية سهلت للمخابرات السورية إلقاء القبض على بعض الهاربين في الأردن، ومنهم عمر علواني الذي قاد إلى اعتقال شقيقه مهدي أحد المشاركين في الاجتياالات ومن يومها علمت بأمر الطليعة.⁽⁸¹⁾ والأرجح أن الأردن سلمهم في إطار الاتفاقيات الثنائية بين البلدين بعد زيارة عبد الحليم خدام الأردن.⁽⁸²⁾ ويعد اعتقال مهدي علواني الحلقة الأولى في مسلسل كشف الطليعة في سورية كلها. أما حلب فقد بدأ الخرق فيها باعتقال عبد الله الطنطاوي القيادي في الإخوان واعترافه الذي كشف التنظيم.⁽⁸³⁾

بعد انكشافها، قررت الطليعة دخول العمل العسكري علناً، ومن دون تخطيط مسبق، على أن يُتابع البناء خلال المعركة، وكانت أولى عملياتها العسكرية في ربيع 1979.⁽⁸⁴⁾ بينما يقول عقلة إنهم كانوا قد أعدوا أنفسهم لمثل هذه المرحلة، حتى إنه وقائد التنظيم عبد الستار الزعيم وقائده في حلب حسني عابو درسوا إصدار بيان يعلنون فيه هويتهم.⁽⁸⁵⁾ وذلك قبل عملية مدرسة المدفعية التي ستدخل الأحداث بعدها منى جديد.

ويوسف صادق (معدنين)، (دم، دن، د.ت)، ص 5.

(80) عدنان سعد الدين، شاهد على العصر- الحلقة (5).

(81) عبد الحكيم، ص 93-94.

(82) أيمن أحمد الشريحي، على ثرى دمشق، ص 102.

(83) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 7.

(84) عبد الحكيم، ص 95.

(85) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 7.

أ. عملية مدرسة المدفعية وتداعياتها

هجمت مجموعة من الطليعة المقاتلة على مدرسة المدفعية في حلب بقيادة عدنان عقلة والنقيب إبراهيم اليوسف الذي كان في وقتها ضابط الأمن في المدرسة فسهل دخول المهاجمين، وبعد أن جمع طلاب الضباط في قاعة كبيرة فرز الطلاب السُّنة عن العلويين الذين يمثلون أغلبية دفعة الطلاب كباقي الكليات العسكرية، ثم أطلق عقلة ومجموعته النار عليهم فسقط عشرات القتلى والجرحى. وأعلن المنفذون لأول مرة وعلى جدار المدرسة تبني العملية باسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين) التسمية التي كان قد اعتمدها عبد الستار الزعيم. والمفارقة أن حافظ الأسد عندما أُخبر بالعملية كان في بغداد التي يتهمها والكتائب وإسرائيل بالاعتقالات. وهكذا قُطع الشك باليقين حول هوية المنفذين، وانفجر غضب النظام، وأعلن حربته على (عصابة الإخوان المسلمين العميلة) بسبب اختلاط الأمر عليه وازدواجية العناصر بين الطليعة والإخوان. ولم ينفع الإخوان المسلمين مسارعتهم إلى إصدار بيان نفي علاقتهم بـ(حادثة المدفعية) أو معرفتهم بإبراهيم اليوسف.⁽⁹⁰⁾ لترد الطليعة عليهم بلسان عدنان عقلة الذي أكد أن العملية وقرار المواجهة لم يكن بالتشاور مع الإخوان، فكيف ينفون ما ليس لهم به علم.⁽⁹¹⁾ لكن على الرغم من ذلك شن النظام حملة اعتقالات واسعة ضد قيادات الإخوان الذين هرب من بقي منهم إلى الأردن فبقيت قواعدهم كجسد بلا رأس.

أجمعت المصادر التي بين أيدينا على أن قائد الطليعة عبد الستار الزعيم لم يكن موافقاً على العملية، وأنه كان يحذر من الاعتقالات الجماعية، وأنه حاول إقناع عدنان بعدم تنفيذها، لكن من دون جدوى.⁽⁹²⁾ وأكد عدنان سعد الدين أن الزعيم أخبره برفضه اقتراحات زملاءه في الطليعة بتنفيذ عمليات هجوم جماعية خوفاً من ردات الفعل التي

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى استفادة الزعيم من سياق الأحداث في المنطقة ومن علاقاته القديمة لدعم تنظيمه، ومنها علاقته بحركة فتح وياسر عرفات الذي كان يتعرض لهجوم مماثل من الأسد في لبنان، حتى إن الأسد كان يظن أن عرفات يساعد الزعيم على الاختفاء فصار يطالبه بتسليمه، لا سيما بعد اكتشاف مركز تدريب للطليعة في جبال لبنان⁽⁸⁶⁾. موضوع علاقة عرفات بالمجموعات الإسلامية المقاتلة في سورية في السبعينيات ما زال حتى اليوم غير واضح، لا سيما أن عددًا من كوادرها قد نفذوا مهمات عسكرية داخل فلسطين باسم فتح، وكان من بينهم عبد الستار الزعيم الذي رفع العلم الفلسطيني على رأس الناقورة عام 1978 خلال الاجتياح الإسرائيلي الأول كما نُقل عن عرفات.⁽⁸⁷⁾ وتؤكد شهادة أبي عامر العلاقة بين الطليعة وفتح، فقد التحق بمعسكرات تدريب لدى فتح في جبل صنين بلبنان، وكان يتنقل ببطاقة فدائي فلسطيني.⁽⁸⁸⁾ ومن جهة أخرى فإن المخابرات السورية استطاعت كشف نشاط الطليعة في الخارج ومنه صلاتها بمنظمة التحرير الفلسطينية بعد الإيقاع بـ (أبي عمر زعيد) مسؤول الطليعة في أوروبا عام 1983.⁽⁸⁹⁾

3. مرحلة المواجهة المفتوحة مع السلطة (1979 -

1982)

يمكن عدّ عملية مدرسة المدفعية التي نفذتها الطليعة المقاتلة في 16 حزيران/ يونيو 1979، بداية مرحلة جديدة في مواجهتها مع سلطة الأسد، فتداعيات هذه العملية إضافة إلى محاولة اغتيال حافظ أسد في حزيران/ يونيو 1980، نقلت الصراع إلى نقطة اللاعودة، وترتب على ذلك تطورات أثرت في مصير الطليعة.

(90) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج1/ص136. تقول زوجة اليوسف أنه لم ينتسب إلى الإخوان على الرغم من حمله فكرهم، لكنه انتسب إلى شباب مروان حديد عن طريق رفيقه عدنان عقلة الذي أخفى تنسيبه، لهذا عندما قام بالعملية لم يكن أحد يعرفه. عزيزة جلود، إبراهيم اليوسف وصفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة في سوريا، ص97-98.

(91) رسالة عقلة إلى قيادات ما وراء الحدود 1980. في: عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص111-120.

(92) عمر العيسو، الشهيد "القائد عبد الستار الزعيم".

(86) عمر العيسو، الشهيد "القائد عبد الستار الزعيم".

(87) أسامة الأشقر، ياسر عرفات والمجموعات الإسلامية في السبعينات، مدونات، 6-8-2017، الجزيرة نت، <https://bit.ly/3rrUwov> آخر مشاهدة 26-8-2023.

(88) مقابلة مع أبي عامر، عضو سابق في الطليعة المقاتلة، أجراها عمار السمر، عبر الواثس أب في 18-8-2023.

(89) محمد فاروق الإمام، ياسمين أذار المخضّب بالدم، مركز أمية للبحوث، (دم: دار الأرقم، 2021)، ص284.

وحلب وإدلب وجسر الشغور.⁽⁹⁷⁾

تعد المرحلة التي تلت حادثة مدرسة المدفعية ما بين 1979 و1981 مرحلة إشكالية،⁽⁹⁸⁾ فقد دفع الانقسام الحاد طرفي الصراع وامتداداتهما (العلويون والسنة) إلى مزيد من التقوق والتكتل بسبب الخوف والشعور بالنشوة أحياناً. فزاد التصاق العلويين بالنظام بفعل الخوف الذي عمل على تغذيته لديهم دائماً. ومن جهة أخرى ردة فعل النظام العنيفة دفعت التنظيمات الإسلامية إلى التعاون، وقد شهدت تلك المرحلة عدداً كبيراً من المفاتحات بين ضباط سنة من خلفيات مدنية محافظة وبين أقرانهم أو أصدقائهم بهدف كسب ولائهم للتيار الإسلامي الذي بدا وقتئذ محققاً وقريباً من الانتصار. تلك الاتصالات لم تشكل جناحاً عسكرياً موحداً لكنها بذرت خلايا نائمة أو مشروعات خلايا، ربما ضمنت مئات العسكريين في الجيش، قبل أن تصل إلى حافظ الأسد الذي كلف بإجراء دراسات عن الضباط السنة، ووضعهم تحت المراقبة أو تجميدهم.⁽⁹⁹⁾ وذلك قبل انكشاف هؤلاء الضباط لاحقاً والقبض عليهم، فقد كان لكل من جناحي الإخوان المسلمين (العمار والتنظيم العام) إضافة إلى الطليعة المقاتلة مجموعات من الضباط في الجيش شديدة السرية. حتى إن فرع الطليعة بدمشق عندما طلبت منه قيادته ضم أعداد جديدة بينهم ضباط، شكل مجموعة خاصة لهم خوفاً من انكشاف التنظيم، وقد ضمنت المجموعة عدداً من الطيارين والعسكريين في الجيش، وأشرف عليها قائد الطليعة بدمشق في وقتها يوسف عبيد الذي وقع بيد النظام بعد انكشاف أحد الضباط.⁽¹⁰⁰⁾

ب. المواجهة المفتوحة: (ثورة إسلامية في سورية)

في أيلول/ سبتمبر 1979، قُتل قائد الطليعة عبد الستار الزعيم في اشتباك خلال انتقاله من حماة إلى دمشق، فظن النظام أنه وجه ضربة قاصمة إلى التنظيم الذي ما لبث أن

لا قدرة لهم عليها.⁽⁹³⁾ بينما تؤكد عزيزة جلود زوجة إبراهيم اليوسف: أن زوجها وعقلة وقيادتهما التي لم تحددها،⁽⁹⁴⁾ ناقشا العملية وتداعياتها أياماً عدة، وأنه كان هناك خطتان للعملية: الأولى عدم قتل طلاب الضباط العلويين بل أخذهم رهائن لتلبية مطالب اليوسف ورفاقه، أما الخطة البديلة فكانت إطلاق النار عليهم. وتقول جلود: إن الغاية لم تكن قتل الطلاب، بل كانت الرد على النظام، والانتقام للشهداء والمعتقلين، وفتح أعين الناس على عدد العلويين المقبولين في الجيش نسبة إلى عددهم في سورية.⁽⁹⁵⁾

أيًا كان فقد كان لهذه العملية تداعيات كبيرة، ساهمت في زيادة الانقسام في سورية ودفع الحالة الطائفية إلى مزيد من التفاقم، وزاد منسوب الخوف الموجود لدى العلويين وهو ما استغله النظام لحشدهم في صفه أكثر من قبل. ومن جهة أخرى ردة فعل النظام العنيف واستهداف كل ما هو إسلامي حتى ممارسة الشعائر الدينية دفع بمزيد من المترددين وممن لا علاقة لهم بالتنظيمات الإسلامية إلى مقاومة النظام.

ومن تداعيات ردة فعل النظام على العملية جر جماعة الإخوان المسلمين إلى المواجهة العسكرية مع النظام الأمر الذي فشل فيه قادة الطليعة منذ المؤسس مروان حديد. يقول سعيد حوى خلقت (حادثة المدفعية) أجواء جديدة، وقلبت الاستراتيجيات، وأعطت النظام مبررات لهجمته الشرسة التي وضعت الجماعة في مأزق حرج، فشبابها بخاصة والإسلاميون بعامة كانوا أمام خيارين: إما أن ينتهوا إلى المعتقلات أو أن يدافعوا عن أنفسهم، ورأت الجماعة أنها أمام معركة مفروضة عليها فاتخذ مجلس شوراهها في أيلول/ سبتمبر 1979 قراراً بالمواجهة وتأسيس جناح مسلح للجماعة.⁽⁹⁶⁾ وبررت قرارها في نشرتها النذير بـ ((أن المجاهدين لم يرفعوا السلاح إلا بعد أن سار الطاغية في طريق استئصال الإسلام، وبعد أن استلمنا جثث إخواننا الذين ماتوا تحت التعذيب))، إضافة إلى فظائعه في حماة

(97) النذير، "نشرة إخبارية"، العدد 15، (7 نيسان/ أبريل 1980).

(98) حسام جزماتي، "أقل من انقلاب عسكري إسلامي في الثمانينات"، موقع تلفزيون سوريا، 17-04-2023، على الرابط: <https://bit.ly/3rsdBqH> آخر مشاهدة 20-07-2023.

(99) جزماتي، "أقل من انقلاب عسكري".

(100) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 165-166 وص 169.

(93) عدنان سعد الدين، شاهد على العصر حلقة (8)

(94) غالباً المقصود هنا حسني عابو قائد الطليعة في حلب الذي لم يكن غالباً موافقاً على العملية لأنهم غير مستعدين للمواجهة.

(95) عزيزة جلود، إبراهيم اليوسف وصفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة في سوريا، ص 27.

(96) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 1/ص 136

داخليًا وخارجية بأنها كنت ضد المدنيين مباشرة، بينما قالت الطليعة إنها عملية ضد هدف عسكري والقتلى كلهم من العسكريين.⁽¹⁰⁸⁾

توسع نشاط الطليعة حتى صارت عملياتها يومية أحيانًا، وتوسع الانتساب إليها، إضافة إلى زيادة تعاونها مع جماعة الإخوان واستفادتها من علاقتهم الخارجية، فأصبح لها وجود في الأردن والعراق، ما سمح لها بتدريب عناصرها خارج سورية إضافة إلى الداخل، ووصلتها كميات لا بأس منها من الأسلحة الخفيفة التي وزعتها على قواعدها، والأموال من الجماعة.⁽¹⁰⁹⁾ وكان النظام يعلن أن العراق والأردن هما من يزودان معارضيه بالأسلحة،⁽¹¹⁰⁾ ولكن قائد الطليعة في دمشق نفى ذلك وأكد أن دعمهم الأساسي بالمال والأسلحة في دمشق كان يصلهم من حماة حيث القيادة المركزية للطليعة، كما كانوا يشترون السلاح من تجار السلاح.⁽¹¹¹⁾ وهناك من يقول إن العراق قدم الدعم لمعارضيه الأسد جميعهم.⁽¹¹²⁾

ولكن في الوقت نفسه استطاعت السلطة توجيه ضربات مؤلمة إلى الطليعة بالاعتقالات ومداومة قواعدها،⁽¹¹³⁾ إضافة إلى قتل أكثر قادتها من الصف الأول، فقد قُتل قائدها العام عبد الستار الزعيم عام 1979، فخلفه هشام جنباز الذي قُتل في العام التالي، فخلفه تميم الشققي⁽¹¹⁴⁾ الذي قُتل بعد أربعين يومًا فقط، ليتولى القيادة المهندس عمر جواد (أبو بكر)⁽¹¹⁵⁾ في كانون الأول/ ديسمبر 1980. وكان قبلها النظام قد تمكن من مداومة كثير من قواعد الطليعة في حلب واعتقال قائدها هناك حسني عابو وعدد من كوادرها وإعدامهم في أواخر 1979، فخلفه المهندس

تابع عملياته في عهد هشام جنباز خليفة الزعيم،⁽¹⁰¹⁾ ومنها عمليات انتقامية عدة لمقتل قائده في دمشق وحلب وحماة. في عهد جنباز وسعت الطليعة من طبيعة أهدافها لتتطال الضباط وأعداء النظام من أي طائفة كانوا، ونفذت هجمات في الشوارع ضد دوريات المخابرات، إضافة إلى استهداف المصالح الروسية بسبب دعم روسيا للنظام فهوجم الخبراء الروس في حماة وحلب ودمشق وقتل عدد منهم، وزُرعت عبوات ناسفة في شركة الطيران الروسية والمركز الثقافي الروسي.⁽¹⁰²⁾ وبلغ التوتر أوجه بعد محاولة اغتيال حافظ الأسد التي نفذتها الطليعة المقاتلة في 26 حزيران/ يونيو 1980⁽¹⁰³⁾ التي رد عليها النظام في اليوم الثاني بتنفيذ مجزرة سجن تدمر التي راح ضحيتها نحو 900 سجين إسلامي.⁽¹⁰⁴⁾ أصدر النظام القانون 49 في 8 تموز/ يوليو 1980 الذي نص بمفعول رجعي على إعدام كل منتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين. فردت الطليعة بعمليات انتقامية، منها محاولة قائدها هشام جنباز ترتيب هجوم على الكلية الحربية بحمص بالاشتراك ما بين الطليعة وعسكريين داخل الكلية، ولكن العملية كُشفت قبل تنفيذها.⁽¹⁰⁵⁾

مع تصاعد إجراءات النظام وانتشار الجيش في مدن حلب وحماة وتمشيطها واعتقال الآلاف،⁽¹⁰⁶⁾ غيرت الطليعة من تكتيكاتها في سنة 1980، فصارت تستهدف أهدافًا عسكرية جماعية، فركزت بشكل أساسي على الحافلات التي تقل عناصر الأمن والجيش والخبراء الروس، عن طريق استهدافها بالعناصر أو العبوات الناسفة.⁽¹⁰⁷⁾ وفي عام 1981 بدأ التنظيم باستخدام السيارات المفخخة لمهاجمة أهداف كبيرة للنظام، ففجر أمرية الطيران، ورئاسة مجلس الوزراء، وكذلك مقر الشرطة العسكرية في الأزيكية التي اشتهرت بـ(مجزرة الأزيكية) التي استغلها النظام إعلاميًا

(101) هشام جنباز: من حماة، قائد الطليعة (1979-1980).

(102) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 136-139 وص 143-146 وص 150-151.

(103) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 189.

(104) يأمر من العميد رفعت الأسد هاجمت قوات من "سرايا الدفاع" سجن تدمر الذي كان مخصصًا للمعتقلين، وأطلقت النار والقنابل على السجناء الإسلاميين فقط في زنابزهم.

(105) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 203-204.

(106) تحدث العماد شفيق فياض قائد الفرقة الثالثة التي ساهمت في تمهيط حلب عما ارتكبه من انتهاكات. عماد السمير، النظام السوري والتاريخ: عندما ترك العماد شفيق فياض التقية، موقع تلفزيون سوريا، 2022-02-24، <https://2u.pw/LjCLNkl>

(107) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 194-195.

(108) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 384.

(109) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 209 وص 411-415.

(110) اعترافات الشامي في: الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة، ج 4/ ص 141-176.

(111) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 192.

(112) مقابلة مع عمران أحمد، معارض سوري سابق في صفوف البعث العراقي، أجراها عماد السمير، عبر الواتس آب 2023-08-25.

(113) القاعدة عبارة عن بيت للتخفي، يتمركز فيه عدد قليل من أعضاء من الطليعة، ويكون منطلقًا لعملياتهم، وتحتضنهم أسرة تغطي على وجودهم، وكان الشباب يعيشون في البيت حياة عسكرية وجاهزة دائمة. عزيزة جلود، إبراهيم اليوسف وصفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة في سوريا، ص 82.

(114) تميم الشققي: من حماة (1956- كانون الأول 1980)

(115) عمر جواد: (1953-1982) من حماة، قتل خلال معركة حماة عام 1982 ويعيد آخر قائد عام للطليعة.

كبيرة في الدير وبخاصة من منتسبي جماعة الإخوان جناح العطار،⁽¹²⁰⁾ وربما يعود ذلك إلى انفاق الطليعة وجماعة العطار على التحاق جماعة العطار بالطليعة في العمل الميداني وأن يكونوا تحت قيادتها ويقدموا ما لديهم للمعركة في سورية كلها.⁽¹²¹⁾ وهكذا أصبح للطليعة خلال مدة قصيرة تنظيم قوي في دير الزور، على رأسه هاشم شعبان. لكن ذلك التوسع لم يرافقه إعداد وتهيئة بل اندفاع وتسرع، ما أدى إلى كشف شباب الطليعة وملاحقتهم بسرعة، ولم تحصل في الدير سوى عمليتين، نجحت إحداها في اغتيال العقيد أحمد سليمان قائد الشرطة العسكرية، لكن تمّ التعرف على الفاعلين واعتقلت السلطة عشرات من أقاربهم للضغط عليهم.

وكان الوضع في اللاذقية مشابهاً، فقد شكّلت خلايا للطليعة في مدينة اللاذقية وربضها،⁽¹²²⁾ لكن ظلت عملياتها قليلة وبعض خلاياها اعتقلت قبل أن تنفذ أي عمليات.⁽¹²³⁾ وشارك في العمليات أفراد غير منظمين في الطليعة ما كشف أعضائها على الغير. ربما كان هذا السبب الذي جعل عدداً من شباب اللاذقية المنضوين في الطليعة يقاتلون في حلب وإدلب ومنهم عبد الكريم عثمان منلا (أبو القاسم)⁽¹²⁴⁾ نائب النقيب إبراهيم اليوسف في حلب.⁽¹²⁵⁾ وهكذا لم تنجح خطة عقلة لتوسيع الصراع والتخفيف عن الطليعة في حلب وحماة فاستمر وضعها في التدهور.

يتفق قائدا الطليعة في دمشق وحلب أيمن الشريحي وعدنان عقلة أن أهم أسباب تراجع الطليعة كان التوسع غير المدروس ونجاح السلطة في جر الطليعة إلى المواجهة المفتوحة. فيقول الشريحي: في البداية سارت الأمور جيداً واستمر التنسيق بين فروع الطليعة في المحافظات، ولكن

عدنان عقلة، وتمكن النظام أيضاً من قتل النقيب إبراهيم اليوسف في 2 حزيران/ يونيو 1980. وأعتقل قائدها في دمشق يوسف عبيد في آذار/ مارس 1980، فخلفه أيمن الشريحي الذي اضطر إلى الحد من عمليات الطليعة بعد أن داهمت السلطة خلال شهرين كثيراً من قواعدها، واعتقلت وقتلت كثيرين من مقاتليها، وذلك في إثر التوسع في العمل بعد تشكيل الإخوان المسلمين تنظيمًا عسكريًا جديدًا تابعًا لهم في دمشق. وعلى الرغم من رفض الطليعة بدمشق الاندماج فيه أو تسريع معركتها ضد النظام، إلا نشاطها تقاطع مع التنظيم الجديد بسبب اشتراكهما في القاعدة الإسلامية التي يجندان منها عناصرهما.⁽¹¹⁶⁾ وهكذا على الرغم من محاولة الطليعة في دمشق تجاوز هذه المشكلة، ولكنها وجدت نفسها مجبرة على التعامل مع حماس وفوضى التنظيم الجديد لتلافي الكارثة التي سرعان ما وقعت عندما تمكنت السلطة من كشف قواعده وإنهائه ما بين العيدين عام 1980.⁽¹¹⁷⁾

ج. بداية الانحدار

كان الخط البياني (لثورة) في تصاعد حتى نهاية آذار/ مارس 1980، فقد استقطبت الثورة الجماهير كلها. وكان من آثار ذلك تحرك النقابات حركتها الشهيرة، ثم بدأ المد يتقلص.⁽¹¹⁸⁾ فما السبب في التراجع العام الذي تحدثت عنه حوى والطليعة خصوصاً؟

يعد توسع الطليعة سبب انحدارها الرئيسي، فخلال هجمة النظام الشرسة عام 1980، عملت بعض قيادات الطليعة كعدنان عقلة على توسيع المواجهة لتخفيف الضغط عن الطليعة في حماة وحلب اللتين سقطت فيهما مئات القتلى في صيف 1980. فتوجه عقلة إلى محافظات عدة ومنها دير الزور التي كان بعض أبنائها قد التحقوا بالتنظيم في حلب،⁽¹¹⁹⁾ فالدير وإدلب واللاذقية تتبع جميعها تنظيمًا لقيادة الطليعة في حلب. وقد لقي عقلة استجابة

(120) مقابلة مع أبي عامر، عضو سابق في الطليعة.

(121) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 12.

(122) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 10.

(123) مقابلة مع أبي عامر، والده كان قائد أحد خلايا الطليعة في محافظة اللاذقية، أجراها عمار السمر، عبر الواتساب آب 2023.

(124) ذكرت عزيزة جلود زوجة اليوسف بأنه حل مكان زوجها في القيادة بعد مقتله في أحد الكمانين.

(125) مقابلة مع أبو عبيدة صليبة قاسمو، مشارك في "أحداث الثمانينيات" ومعتقل سابق، قاتل مع مجموعة للطليعة المقاتلة كان أخوه عضواً فيها قبل أن يقع لاحقاً في الأسر مع عدنان عقلة ويُعدم. مناقشات ومعلومات مكتوبة، أجراها عمار السمر، عبر الواتساب آب 2023.

(116) أيمن أحمد الشريحي، على ثرى دمشق، ص 206.

(117) أيمن أحمد الشريحي، على ثرى دمشق، ص 222.

(118) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج 1/ 138.

(119) معاذ السراج، "الطليعة المقاتلة في دير الزور، عين المدينة"، (28-01-2021)، على الرابط: <https://bit.ly/3EO2zyf> شوهد 2023-8-10.

وهكذا تحول التنظيم من سري يعمل على المدى البعيد بأساليب حرب العصابات إلى تنظيم يقف على حافة المجاهمة مع السلطة قبل أن يستكمل عدته وينسق أموره مع بقية التنظيمات الأخرى.

كان قادة الطليعة كأيمن شريجي يركزون على الشباب الإسلامي المنظم في الطليعة وجماعة الإخوان المسلمين ودورهم في المجاهمة، ولكن في ما يبدو لم يعطوا أهمية للفئات الأخرى التي دفعها بطش النظام إلى الانضمام إلى المواجهة التي تحولت إلى انتفاضة شعبية شبه شاملة، ولم تعد مقتصرة على الإسلاميين والعمل العسكري فقط، فهل كان بإمكان الطليعة محافظة على نهجها السري تجاوز تلك الهبة الشعبية التي كانت تريدها؟

د. الطليعة والانتفاضة الشعبية في الثمانينيات

في أثناء إجراء بعض المقابلات مع من يفترض أنهم أعضاء سابقين في الطليعة المقاتلة اكتشفت أن بعضهم لم يكن منظمًا فيها، لكنه قاتل معها وأُعتقل، وبعضهم الآخر كان يعمل مع الطليعة ولا يعلم أنهم الطليعة، ليستمر بالعمل معهم عادًا نفسه أحد أفرادها ما دامت تقاوم النظام.

نظام الأسد كأي نظام تحكمه سياسة الخوف كانت ردة فعله على عمليات الطليعة المقاتلة استهدافًا عشوائيًا للحركات الإسلامية والأغلبية السنية كلها عمومًا التي عدّ كل فرد فيها مقاتلاً محتماً ضده حتى ضباط الجيش وأفراده والأجهزة الأمنية وصار التشكيك فهم ومراقبتهم علناً من زملائهم العلويين.⁽¹²⁹⁾ وللسيطرة على الوضع لجأ النظام إلى العنف المفرط والاعتقالات العشوائية التي هدف منها إلى فرض جو من الرعب والخوف يدفع السكان إلى الاستكانة، ولكن هذا القمع حول المواجهة المحدودة إلى شبه انتفاضة عامة شاركت فيها قوى مختلفة، فتحركت النقابات محتجة على قمع النظام الخطر على المجتمع، وساهم القمع في جر جماعات منظمة للمواجهة العسكرية معها أنها كانت ترفض ذلك لسنوات كجماعة الإخوان المسلمين.

بعد مدة قصيرة ظهر فرق كبير بين عمل الطليعة في حماة وحلب ودمشق، ففي حلب وحماة تصاعدت الأحداث بشدة بعد عمليات الطليعة، فراحت السلطة تبطش وتعتقل الشعب الأعزل وبخاصة شباب الإخوان المسلمين، ما دفع كثيرين منهم إلى التواري والاتصال بالمجاهدين للمشاركة في القتال، ففتحت الطليعة صدرها لهؤلاء وضمتهم إليها؛ ما أدى إلى تضخم التنظيم كثيراً، لتبدأ المشكلات بالظهور، فمع الأعداد الكبيرة كان لا بد من تصعيد العمليات من دون الوصول إلى المواجهة المكشوفة لئلا يخوضوا معركة غير متكافئة، وهو ما كانت تريده السلطة. وقد استطاعت قيادة الطليعة في البداية في حلب وحماة تجنب المواجهة المكشوفة على الرغم من حملات التمشيط التي قام بها النظام في المدينتين. ومع ذلك نجحت السلطة في استدراج الطليعة إلى مجاهبات كبيرة عدة في حلب تسببت في مقتل أعداد كبيرة من عناصرها. ويرى شريجي أنها خطة وُضعت بمساعدة الخبراء الروس، ونجحت لاحقاً في حماة.⁽¹²⁶⁾

في 1981، كانت الطليعة في حلب قد أنهكت تحت ضربات النظام، عندها أرسل عدنان عقلة أمير التنظيم في حلب رسالة للشريجي تحدث فيها عن مشكلات التنظيم المتضخم، ومنها، فقدان كثير من السرية ما كشف خطط التنظيم بسبب اعتقال عدد من الأعضاء، ودبت الفوضى في صفوف التنظيم بسبب قلة وعيهم بالمعركة، وأصبح الاتصال بين عناصر القيادة أمراً صعباً، من جهة أخرى أصبح التنظيم يضم عدداً كبيراً من الأعضاء الذين لا حاجة إليهم في العمليات، وهؤلاء يحتاجون إلى أسلحة وأموال وقواعد كثيرة لإيواءهم.⁽¹²⁷⁾ وهو ما لم يكن متوفراً بسهولة.

من جهة أخرى يحمل الشريجي قيادة الإخوان المسلمين بجناحها مسؤولية ارتكاب أخطاء انعكست على الساحة، أهمها: عدم تهيئة شبابهم لحرب طويلة الأمد مع النظام، ومغادرة قيادات الإخوان المسلمين سورية وتركهم قواعدهم من دون قيادة، فوجد هؤلاء أنفسهم في معركة لم يخطط لها ولم تتخذ عدتها، ما تسبب في اعتقال آلاف وهرب آلاف خارج سورية وانضمام أعداد كبيرة إلى الطليعة.⁽¹²⁸⁾

(129) مقابلة مع العقيد أبي الليث، ضابط منشق عن البحرية السورية، أجراها عمار السمر، أحاديث ومناقشات في 2023 عبر الواثس أب. كذلك: عمار السمر، "ذاكرة الثمانينات الأسدية: محاربو الامبريالية في لبنان... وفي سوريا لأجل الغيز (2)", جريدة المدن، 2023-01-26، <https://zu.pw/HjeIcKE> شوهده 2023-09-25.

(126) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 158-159.

(127) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 160.

(128) أيمن أحمد الشريجي، على ثرى دمشق، ص 161-162.

من عدنان عقلة واعتقل معه في رحلته الأخيرة إلى سورية.⁽¹³¹⁾

كان تصاعد الطائفية واستهداف السنة دافعاً لفئات أخرى للانخراط في المواجهة، ومنهم قبضيات الأحياء الشعبية، الظاهرة التي درسها الباحث الفرنسي ميشيل سورا في حي باب التبانة في مدينة طرابلس الشام خلال الحرب الأهلية اللبنانية.⁽¹³²⁾ وإشارته إلى وجود ظواهر مماثلة خلال الثمانينيات في الأحياء الشعبية بالمدن السورية كاللاذقية وأحياء الأنصاري والكلاسة في حلب. ففي مدينة اللاذقية نشبت بعد اغتيال الشيخ العلوي يوسف صارم،⁽¹³³⁾ حرب حقيقية في أواخر آب/ أغسطس 1979 بين قوات الأمن ومجموعات مسلحة منظمة يقودها (القبضيات) في الأحياء الشعبية كحي الصليبية، وهم وإن استخدموا شعارات إسلامية إلا أن علاقتهم لم تكن واضحة مع الإخوان، فقد اتخذت معارضة النظام منذ ذلك الوقت صبغة حركة شعبية حقيقة أكثر فأكثر.⁽¹³⁴⁾ في تلك المرحلة لم يعد الناس يهتمون بالانتماءات التنظيمية لمن يواجهون النظام، فصار التمييز صعباً بين من هم منظمين في الطليعة المقاتلة أو الإخوان المسلمين ولهم قواعد سرية داخل المدن ويقومون بعمليات محددة وأولئك (القبضيات) الذين التحقوا بالقتال بسبب عسف النظام، حتى إن بعض هؤلاء حازوا شهرة أكبر وحكيت حولهم الحكايات كأبي عبدو الجندي وغسان أبو كف في اللاذقية.⁽¹³⁵⁾ وهنا نعود إلى مروان حديد الذي نُقل أنه كان منفتحاً على الأساط الشعبية، وأنه كان يجمع الفتوات والقبضيات في حماة لأنه يأمل بهدياتهم، ويسعى لإعدادهم للمواجهة.⁽¹³⁶⁾

وحلب لم تكن بعيدة عن هذه الحالة السابقة، طبعاً لا يمكننا أن نفهم الموقف إلا في ضوء معرفة ممارسات

(131)مقابلة مع أبو عبيدة صليبية قاسمو.

(132)لمزيد حول الموضوع، ميشيل سورا، سورية الدولة المتوحشة، ص 291-352.

(133)اغتيال في 3 آب/ أغسطس 1979. ولم تعلن أية جهة مسؤوليتها عن مقتله. بعض من قابلناهم يشيرون إلى أن النظام صاحب المصلحة في قتله لأنه في إثر ذلك شن حملة اعتقالات واغتيالات استهدفت زعامات المجتمع السني في اللاذقية، فاغتيال المحامي برهان عطور، والشيخ الدكتور ممدوح جولحة وغيرهم، وبعضهم لم يكونوا منتسبين إلى أي جهة. أحاديث مع أبي عبيدة صليبية، ومع العقيد أبي الليث.

(134)ميشيل سورا، سورية الدولة المتوحشة، ص 117.

(135)مقابلة مع أبو عبيدة صليبية قاسمو. كذلك من ذكريات الكاتب في الثمانينيات في اللاذقية.

(136)شهادة رشيد العيسى، في: عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد -ذكريات ومذكرات، ص 371.

ومن جهة أخرى تسبب القمع بظهور مقاومة عسكرية من نوع جديد غير منظمة، فمع عمليات الطليعة تصاعد عنف النظام وتصاعدت الطائفية إلى مستويات لم تعرفها سورية في تاريخها، ما دفع قوى جديدة إلى الانضمام إلى المواجهة العسكرية؛ منها أفراد وجماعات صغيرة بعضها دعوية أو صوفية كانت تنظم في حلقات المساجد للحراك. وبما أن هذه المجموعات لم يكن لها سابقة بتنظيم نفسها سياسياً أو عسكرياً فقد انضمت إلى المجموعات المنظمة الموجودة على الأرض أو عملت خلفها كالطليعة المقاتلة والتنظيم العسكري للإخوان المسلمين بعد قرار الجماعة دخول المعركة، وهذا ما استنتج من المقابلات التي أجريت لهذا البحث.

لقد انضم إلى العمل العسكري أفراد عاديون بسبب ما كان يجري حولهم من اعتقال وقتل أو تعرضهم للملاحقة. كحالة أبي بشار من جسر الشغور الذي خرج من بلده بعد المجزرة المعروفة التي قُتل فيها أخوه الصغير، فانضم إلى أول مجموعة عرفها من أبناء بلده تقاتل النظام وتعيش في البراري حول بلده من دون أن يعطي بالألمن تتبع، ولم يعن له أي شيء اكتشفه بعد مدة أنها تابعة للإخوان المسلمين، ولكنه سرعان ما انفصل عنها لأنها توقفت عن القتال ريثما تصل التعليمات والذخيرة. وبعدها حاول أبو بشار أن يقوم بعمليات في الجسر وحده قبل أن يتوجه إلى جبل الزاوية للانضمام إلى مجموعة تقاتل النظام وذلك قبل اكتشاف أمرهم ومحاصرتهم من مخابرات النظام فتوجه هارباً إلى تركيا، وعلى حد قوله كان بينه وبين أحد القادة الميدانيين في حلب مراسلات، لم يعلم من هو إلا بعد خروجه من سورية ومقابلته في العراق ليعلم أنه قيادي في الطليعة المقاتلة، وهنا صار يعد نفسه من الطليعة، وأكمل العمل معهم في تنسيق دخول مقاتلي الطليعة وخروجهم عبر الحدود التركية ومساعدتهم، مع احتفاظه بنوع من الاستقلالية.⁽¹³⁰⁾ والحالة السابقة تنطبق على أبي عبيدة الذي لم يكن منظماً مع أي تنظيم، ولكنه انضم إلى مجموعة مثله يقودها أحد أئمة المساجد في اللاذقية، وقد تقاطع عملهم مع مجموعات أخرى منها ما يتبع للطليعة التي كان أخوه عضواً فيها ومقرباً

(130) مقابلة مع أبي بشار، عضو سابق ومنسق في الطليعة المقاتلة، أجراها عمار السمر، عبر الواتس اب في 2023-08-30.

روايته عن التمرد. ففي مقابلة بعنوان ((ما العلاقة بين حركة النقابات في الثمانينات والطلیعة المقاتلة))،⁽¹⁴¹⁾ يقول جلال الدين الخانجي: إن النقابات والطلیعة والإخوان كانوا يتوافقون على أغلب الأهداف في الوقوف ضد دكتاتورية حافظ الأسد وإطلاق الحريات والإفراج عن المعتقلين، لكنهم اختلفوا في الوسائل، ثم إن قادة الطلیعة كالمهندس عدنان عقلة كانوا يعرفون أهمية العمل النقابي.⁽¹⁴²⁾ كان هناك اتفاق على السبب والهدف واختلاف على الوسيلة، وفي النهاية فرض النظام وسيلته (العنف) على الجميع.

دعمت الطلیعة المقاتلة الحراك المدني لكن على طريقتها كتنظيم مسلح، فأصدرت بياناً في 1 نيسان/ أبريل 1980، دعت فيه إلى إضراب طلبة الجامعة والمدارس بمستوياتها كلها، وامتناع الأساتذة عن التدريس، وتوعد البيان المخالفين بالعقاب، وحذر ممثلي اتحاد الطلبة الذين يبررون جرائم النظام بالقصاص إلا إذا أعلنوا استقالتهم من مراكزهم.⁽¹⁴³⁾ واغتالت نقيب المحامين بدمشق الذي عينه الأسد بعد حله النقابات.⁽¹⁴⁴⁾

هـ. الطلیعة والوفاق

الخطر الداهم دفع الإخوان المسلمين جناح التنظيم العام والعتار إضافة إلى الطلیعة المقاتلة إلى توحيد جهودهم لمواجهة النظام على الرغم من الاختلافات بينها، فاتفقت الأطراف في آذار/ مارس 1981، في ما عُرف بقيادة الوفاق) الذي جرى في عمان. وقبلها في عام 1980 شكّلت (الجهة الإسلامية لإنقاذ سوريا) من دون مشاركة الطلیعة، بينما شارك فيها الإخوان المسلمون، وفتحوا باب التطوع للجهاد في سورية، وأصدروا بيان (الثورة الإسلامية في سوريا ومنهجها).

قام (الوفاق) بعد تعثرات، وأُتفق على تشكيل قيادة تضم ممثلين للأطراف الثلاثة الذين لم يثقوا ببعضهم، ما حد من فاعلية تلك القيادة، ويقول الشيخ سعيد حوى

(141) لقاء مع جلال الدين الخانجي (نقاي سابق)، برنامج الذاكرة السورية، تلفزيون سوريا، <https://bit.ly/455FXZ2>

(142) لقاء مع جلال الدين الخانجي (نقاي سابق)، برنامج الذاكرة السورية.

(143) النذير، "نشرة إخبارية، العدد 15، (7 نيسان/ أبريل 1980).

(144) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 186-187.

السلطة في حلب وحملات التفتيش والاعتقالات. فتنتقل لنا عزيزة جلود زوجة إبراهيم اليوسف رداً فعل الناس حول تحركات زوجها وموقف سكان الأحياء الشعبية منه، قائلة: ((كانت حلب تغلي بالتظاهرات ضد النظام، وأنها لم ترَ في أي تظاهرة رجلاً يحمل شعاراً أو راية، والكل يصدق بالأنشيد الدينية وينادون بعدنان عقلة رئيساً وإبراهيم اليوسف وزيراً للدفاع))⁽¹³⁷⁾. وتقول جلود: إن الناس في حلب أصيبوا بالإحباط بعد (استشهاد) زوجها. بينما تقول راية النظام: إن المواطنين في حلب تبادلوا التهاني عند سماعهم بمقتله لأنه ((عميل وجاسوس مرتبط بالإمبريالية الأميركية والصهيونية)).⁽¹³⁸⁾

يقدم لنا حسام جزماتي الذي عاصر (الأحداث) في مدينته حلب تحليلاً مختصراً يساعد في فهم الموقف الشعبي، فيقول: من الصعب على غير أهالي حلب وحماة، فهم الشعبية التي حازها الحراك الإسلامي في الثمانينات، ما يدفع بعضهم إلى تسميته ب(الثورة) بناء على ذلك. حلب حاضنة للتيار الديني، وحتى السبعينيات كانت حاضنة للإسلام الحركي، لكن ما حدث وقتها كان أوسع من ذلك كثيراً. كان هناك تأييد للتمرد، سواء بروية أم بحماس، على الرغم من أن كثيرين لم يكونوا يرحبون بشعار الحكم الإسلامي. كان الجميع مؤيدين للتحرك بوصفه رداً على مظالم كثيرة متراكمة وعلى (حكم غريب) أيديولوجياً وسياسياً وطائفياً.⁽¹³⁹⁾ المعارضة المستميتة لنظام الأسد أكسبت الطلیعة شعبية واسعة واحتراماً حتى عند السنة العلمانيين، وصار ينظر إليهم بوصفهم أبطالاً.⁽¹⁴⁰⁾

قمع النظام في الثمانينات لم يقتصر على الإسلاميين، بل طال كل من عارضه أيًا كانت خلفيتهم السياسية، ومنهم النقابات التي لم تنخدع بما يقوم به النظام تحت مسمى إخماد التمرد الإسلامي الحجّة التي جعلت العالم يسكت عن جرائمه، وكان رد النظام على تحركها إغائها لأنها خرقت

(137) عزيزة جلود، إبراهيم اليوسف وصفحات من تاريخ الطلیعة المقاتلة في سوريا، ص 75

(138) دم، الإخوان المسلمون: نشأة مشبوهة، ج 3/ ص 171.

(139) حسام جزماتي، منشور على الفيسبوك، <https://www.facebook.com/hosam.jazmati> 2023-09-02.

(140) رافايل لوفيفر، "سقوط أحكام وقواعد حماه"، مركز مالكوم كير- كارنيغي، 19 أيلول/ سبتمبر 2016، <https://carnegie-mec.org/diwan/64612> شوهد 2023-9-19.

انهار الوفاق في الشهر الأخير من عام 1981، بينما كانت معركة حماة تلوح في الأفق. والطلايعة كانت قد تعرضت لضربات قوية دمرت أغلب قواعدها في حلب، ودخل تنظيمها الدمشقي المنحسر عددًا في حالة سبات،⁽¹⁵¹⁾ بعد أن قررت قيادة دمشق ترشيد العمليات على الرغم من ضغط قيادة التنظيم في حلب وحماة عليها. هكذا كان الوضع العام بينما كانت الطليعة تسير نحو مواجهتها الحاسمة في حماة.

و. معركة حماة

قبل معركة حماة كانت هناك مؤشرات كثيرة تدل على اقتراب الكارثة، فالسلطة كانت قد كشفت كثيرًا مما يجري على الأرض بعد أن اعتقلت كثيرين من الطليعة والإخوان ممن لديهم معلومات مهمة كخالد الشامي الذي كان على اتصال بقيادة الطليعة والإخوان وتنظيم الضباط في الجيش، واعتقل في 8-1-1982 وعرضت اعترافاته لاحقًا في أيار/ مايو 1982 على التلفزيون السوري، وفيها معلومات تفصيلية عن كل شيء حتى مقدار الأسلحة في حماة وأنواعها.⁽¹⁵²⁾

وقبل عشرة أيام من إعلان شرارة الانتفاضة الإسلامية في مدينة حماة جرى لقاء أخير بين عدنان عقلة وقائد الطليعة عمر جواد الذي قال لعقلة: ((انتهى كل شيء يا أبو عمار. تنظيمنا انتهى كله، الآن هو على الأرض تمامًا))،⁽¹⁵³⁾ فقد كان جواد مدرّكًا للحالة التي وصلت إليها الطليعة في حماة وسورية كلها كما جاء في الرسالة التي حملها لعقلة لقيادة ((الثورة الإسلامية في الخارج))،⁽¹⁵⁴⁾ ففي ذلك الوقت من كانون الثاني/ يناير 1982 كانت أوصال التنظيم قد تقطعت تحت وطأة مدهمات القواعد واعتقال المرسلين، وكان كثير من المقاتلين لا يعلمون بما يحدث، ومن بالخارج من التنظيم لا يعلمون ما يجري في الداخل وبالعكس. وكان مركز ثقل الطليعة في حلب قد تهاوى،⁽¹⁵⁵⁾ وكذلك فروعها في

(جناح التنظيم العام): تنازلنا إلى أقصى حدود، وكانت قيادة الوفاق تتحرك على أرض من الألغام ومن خلال تناقضات كبيرة. فقد كانت تناقضات قيادة الوفاق كبيرة ما أدى إلى خروج بعضهم.⁽¹⁴⁵⁾

تولى الإخوان جناح التنظيم العام قيادة العمل العسكري ضد النظام مدة قصيرة، وأخذت تتردد في الأجواء فكرة حسم الصراع مع النظام، وهنا كانت لدى الدمشقي محمد عيد البغا، أحد قادة الوفاق من جناح العطار، مفاجأة صغيرة، فقد كان لدى جماعته مجموعة من الضباط في الجيش، وكان التنظيم العام قد باشر في استقطاب مجموعة أخرى. وكلفت قيادة الوفاق خالد الشامي لينسق بين مجموعتي الضباط، وبينهما وبين القيادة في الخارج ومع قيادة الداخل، لتحديد الاحتياجات والإعداد لساعة الصفر⁽¹⁴⁶⁾ التي لم تأت، فقيادة الإخوان لم تتوفر لديها الإمكانيات التي طلبها الضباط للقيام بالانقلاب، قبل أن يتمكن النظام في مطلع عام 1982 من كشف أمر هذا التنظيم والمحاولة الانقلابية نتيجة وشاية من الضباطين عبد المجيد عرفا وأحمد عبد النبي، ليعتقل النظام في إثرها عشرات الضباط، وفي مقدمتهم العميد تيسير لطفي.⁽¹⁴⁷⁾ واعتقل خالد الشامي في 8-1-1982 وعرضت اعترافاته لاحقًا في أيار/ مايو 1982 على التلفزيون السوري.⁽¹⁴⁸⁾

انتهى الوفاق سريعًا نتيجة اختلاف أطرافه، وأصدر عدنان عقلة بيانًا في 17-12-1981، بعنوان (الوفاق إلى أين) أكد فيه المفاصلة الكاملة والنهائية مع الإخوان، وأعلن تميز الطليعة التام منهم، وذلك بعد أن وصل الوفاق إلى طريق مسدود، ودعا قواعد الإخوان لتجاوز قياداتهم والالتحاق بالطليعة.⁽¹⁴⁹⁾ فرد الإخوان المسلمون على بيانه، وحذروا من التعامل معه والتبرع للطليعة، بل حملوه مسؤولية عما جرى في حماة، وأنه استجر المجاهدين إلى معركة في غير أوانها.⁽¹⁵⁰⁾

(151) حسام جزماتي، "الرسالة التي قتلت عدنان عقلة"، موقع تلفزيون سوريا، <https://bit.ly/46FVRar>، (2020-12-20). شوهود 2023-07-20.

(152) اعترافات الشامي في: الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة، ج4/ص 141-176.

(153) حسام جزماتي، "عن سياق أحداث" حماة 1982"، موقع تلفزيون سوريا، (03-06-2023)، <https://bit.ly/3LwWtqM>، شوهود 2023-9-2.

(154) الصفحة الأولى من رسالة عمر جواد، في: عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 131-132.

(155) بعد عملية مدرسة المدفعية رافقت عزيزة جلود زوجها خلال قتاله النظام وتخفت معه في القواعد السرية للطليعة في الأحياء الشعبية بحلب، ونقلت أخبار كشف النظام لقواعدهم

(145) اسعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ج1/ص 138.

(146) حسام جزماتي: أقل من انقلاب عسكري إسلامي في الثمانينات.

(147) عدنان علي، برواية مقاتل المواجهة بين "الطلايعة المقاتلة" والنظام في حماة، موقع تلفزيون سوريا، (10-02-2021)، <https://bit.ly/3Pur6OH>، شوهود في 2023-09-02.

(148) اعترافات الشامي في: الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة، ج4/ص 141-176.

(149) نص البيان في: عمر عبد الحكيم، الملاحق ص 61-64.

(150) نص يتضمن الرد على أسئلة عن علاقة عدنان عقلة بجماعة الإخوان المسلمين بتاريخ 25-04-1982. في: عبد الحكيم، الملاحق ص 67.

أنحاء العالم للتدريب. وفي إثر ذلك نقلت الطليعة إدارتها من عمان إلى بغداد لمتابعة الأمور ميدانياً بعد أن أصبحت مرتبطة بدعم العراق المنتظر، ففي ذلك الوقت كما يقول عقلة صار القرار بيد العراقيين والإخوان المسلمين الذين بدؤوا بالتحضر لدخول سورية. ولكن المفاجأة أن الإخوان أخبروا ممثل الطليعة بأنهم لن يعطوهم رصاصة واحدة لأنهم لا يثقون فيهم، ومنع سباعوي شقيق صدام الطليعة أن تحشد مقاتليها في العراق، فانتقلت إلى الأردن وحشدت هناك عددًا قليلاً.⁽¹⁶⁰⁾

على الرغم من التحركات السابقة، وإعلان قيادة الإخوان اكتمال الترتيبات لدخول سورية، فقد انتهى شهر شباط/ فبراير من دون أي تحرك، فأصيب من لبوا نداء النفير العام والسوريون الهاربون في الخارج بإحباط شديد قبل أن يأتي خبر سقوط حماة ما بين 23-24 شباط/ فبراير.⁽¹⁶¹⁾ وقد تقاذفت قيادتا الطليعة والإخوان المسلمين المسؤولية، وكان لكل منهم روايته. فعدنان سعد الدين يقول: إن الإخوان بعد أن دعوا إلى النفير تجمع نحو 1300 شخص، استعداداً لنجدة حماة، ولكنهم لم يتحركوا لأنه وصلهم أن النظام علم بخططهم وحشد قواته قرب الحدود. وقد حمل سعد الدين عدنان عقلة مسؤولية التغيير بعمر جواد قائد الطليعة بوعده أنهم يستطيعون مساعدتهم من الخارج بالسلاح والرجال بينما لم تكن هناك أي تحضيرات.⁽¹⁶²⁾ بينما حملت الطليعة وجهات أخرى قيادة الإخوان المسؤولية عما وصل إليه الحال في حماة.

وإذا ما تجاوزنا التحضيرات التي لا ترقى بأي شكل للمطلوب، يبدو أن العامل الأساسي كان عدم موافقة العراقيين على دعم التحرك بشكل فاعل، فسعد الدين يقول: إنه وقيادة الإخوان قابلوا القيادة العراقية وعلى رأسها صدام حسين لطلب المساعدة وشرحو له الوضع الخطر في حماة، فوجدوهم متحفظين ولا يريدون التدخل بأنفسهم، حتى إن صدام قال لهم لا أستطيع أن أعدكم بشيء. واحتج العراقيون بالعلاقات الدولية وموقف السوفييت، ولكنهم

اللاذقية وحمص، فيما انقطع الاتصال بفرع دمشق. حتى أن جواد استقبل عقلة في قاعدة مكشوفة بعد أن اعتقلت المخبرات أعداداً كبيرة من رجاله. وتلت ذلك ضربة اعتقال مجموعة الضباط الذين كانت الطليعة تعوّل على التعاون معهم للتحرك والحسم.⁽¹⁵⁶⁾

عاد عقلة من حماة إلى الخارج حاملاً رسالة عمر جواد التي تشرح الوضع الخطر في حماة والداخل،⁽¹⁵⁷⁾ وأطلع عليها مسؤولي الطليعة في الأردن، واجتمع بقيادة الإخوان بحضور المراقب العام الدكتور حسن هويدي وأطلعهم على الوضع، وناقش معهم التحرك للمشاركة في معركة حماة القادمة، واقترح عليهم تحريك الوضع في المدن السورية للتخفيف عن حماة، فيذهب هو إلى حلب وقادة آخرون من الطليعة إلى دير الزور ودرعا وحمص، وطلب من الإخوان تحريك خلاياهم في مختلف المناطق، ولكن قيادة الإخوان لم تتجاوب مع طلبه.⁽¹⁵⁸⁾ فطلبه كان حماسياً ولا يتلاءم مع الإمكانيات الموجودة والوقت الضيق، فالإخوان بعد إعلان نفيرهم لم يستطيعوا جمع سوى مئات الرجال الذين كانوا بحاجة إلى التدريب، فكيف لهذه الإمكانيات أن تواجه جيش النظام.

تابع عقلة سعيه لفعل شيء لحماة، فتوجه إلى العراق واجتمع مع طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقي ومسؤول الملف السوري، وقدم له مطالبهم ومنها فتح معسكر للطليعة، وفتح الحدود للدخول إلى سورية لبدء المعركة على عجل، فوعده رمضان بتلبية طلباته كلها، وطلب منه تعيين ممثل لهم. ثم انتقل عدنان إلى عمان وتابع الاتصال بجهات إسلامية، وطار إلى ألمانيا لإعلام العطار بالموقف.⁽¹⁵⁹⁾

أما جماعة الإخوان فقد أعلنت النفير العام في 8-2-1982، ودعت قيادتها -التي استقرت في بغداد- الشباب للالتحاق بمعسكرها في العراق، فبدأ الشباب يتوافدون من

ومداهمتها ومقتل كثيرين من الطليعة والقبض على بعضهم. عزيزة جلود، إبراهيم اليوسف وصفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة في سوريا، ص 75.

(156) عقلة، ص 65. كذلك جزماتي، عن سياق "أحداث" حماة.

(157) الصفحة الأولى من رسالة عمر جواد، في: عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 131-132.

(158) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 87-97.

(159) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 98.

(160) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 98-103.

(161) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 98-103.

(162) عدنان سعد الدين، شاهد على العصر، الحلقة (8)، قناة الجزيرة، (28-10-2012).

<https://www.youtube.com/watch?v=NGclku73EYk> شهود في 02-09-2023.

لقد قاتل مقاتلو الطليعة في حماة حتى نفاذ ذخيرتهم، وقُتل كثيرون منهم بما فهم قائد الطليعة عمر جواد، ولحقه بعد مدة قصيرة نائبه مسعف البارودي أبو عارف، وباقي مقاتلي الطليعة قُتل من قُتل وفر من فر. وتمكنت قوات النظام التابعة لـ (سرايا الدفاع) بقيادة رفعت الأسد، و(سرايا الصراع) بقيادة عدنان الأسد، و(القوات الخاصة) بقيادة علي حيدر إضافة إلى ميليشيات أخرى من دخول المدينة بعد تسوية أحياء كاملة منها بالأرض وإعمال القتل بمن بقي في المدينة مدة 27 يومًا من دون تمييز بين المقاتلين والمدنيين.

4. مرحلة الانكفاء والانهيار (1982-1985): الطليعة تحت ضربات السلطة والخذلان

قبل معركة حماة بقليل كانت قيادة الطليعة تدرك الحالة الصعبة التي وصل إليها تنظيمها، بعد انكشاف مخطط الحسم الذي كان معدًا مع القوى الأخرى، وانكشاف التنظيم العسكري في الجيش واعتقال ضباطه كلهم، وانقطاع الاتصال مع فرع الطليعة بدمشق، وضرب الطليعة في حلب ومقتل عناصرها واعتقال وملاحقة معظمهم، والحالة لم تكن أفضل في اللاذقية وباقي المدن، بينما كان الوضع الأسوأ للطليعة في مركز ثقلها حماة بعد مقتل مسؤوليها معظمهم، وانكشاف معظم قواعدهم، حتى إنها خشيت انقلاب الشعب ضدها من كثرة الضيق.⁽¹⁶⁸⁾

ولم يكتب لعمر جواد الذي قُتل في الأسبوع الأول من معركة حماة رؤية ما سيؤول إليه تنظيمه الذي أصبح من دون قيادة مركزية بعده، فجواد يمكن عده آخر قائد مركزي للطليعة. فبعد عام 1982 خرج قطاعا الطليعة في حلب وحماة من الصراع، ولم يبق سوى قطاع دمشق بقيادة أيمن الشريبي حتى مقتله عام 1988.⁽¹⁶⁹⁾

في تفسيره لما حل بالطليعة يقول أبو مصعب السوري: كان الخطأ الاعتماد على الكم بعد أن ذهبت الضربة الأولى بالنوعيات، فقد ذهبت الصدمة الأولى ما بين أواسط 1979

قبلوا بتزويد الإخوان بالسلح الخفيف والمتوسط فقط،⁽¹⁶³⁾ ورفضوا دعم الطليعة ومشاركتها في التحضيرات لأنها كانت ترفض الانضمام إلى التحالف الوطني الذي اشتركت فيه إلى جانب الإخوان المسلمين جماعات غير إسلامية كالبعث السوري التابع للعراق.⁽¹⁶⁴⁾ على الرغم من أن العراقيين في البداية كانوا قد وعدوهم أن يعطوهم كل شيء، وكان هناك مسؤولون من الطليعة في العراق للتحضيرات.⁽¹⁶⁵⁾ ففي ما يبدو كان العراقيون يأملون في تغيير الطليعة موقفها من التحالف الوطني مقابل دعمهم لها، ولكنها لم تغيره بل كانت تصفه بأنه لافتة جاهلية رايتها كافرة ولا يمكن مشاركتهم في الحكم.

يقول عقلة إن عمر جواد ومن معه دخلوا المواجهة على الرغم من حالهم السيئة لأنهم كانوا يعرفون أن رفعت الأسد قرر تدمير حماة فلم يريدوا أن يكون ذلك من دون ثمن.⁽¹⁶⁶⁾ وتكاد المصادر تُجمع على مجريات معركة حماة، وهي بحسب وصف مقاتل كان في حماة: بدأت عندما عثرت دورية للأمن على المنزل (القاعدة) الذي كان فيه قائد الطليعة عمر جواد ومجموعة مقاتلة، فحوصروا واشتبكوا، إلى أن تمكن جواد من الانسحاب بعد قتل عدد من رجال الأمن. وعندما بدأ القصف على المدينة رفع جواد الأذان في مسجد البحصة في حي البارودية عند منتصف الليل، وحث الناس على المواجهة، وبدأت نداءات الجهاد من مكبرات المساجد ليخرج المسلحين من عناصر الطليعة والإخوان وكل من عنده سلاح، وبهاجموا مراكز النظام ورموزه وسيطرُوا على المدينة.⁽¹⁶⁷⁾

كان الأهالي يودون التخلص من قوات النظام التي حولت حياتهم إلى جحيم في سياق استفزازها للطليعة لجرها للمواجهة المكشوفة، ما جعل حماة بيئة حاضنة للطليعة التي استطاعت في بعض المراحل السيطرة على المدينة ليلاً، حتى إن بعض الأحياء كالكلبانية والبارودية ومنطقة الزنيقي كانت تحت سيطرتها التامة.

(163) عدنان سعد الدين، شاهد على العصر، الحلقة (8).

(164) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 108-109.

(165) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 84.

(166) عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 70-71.

(167) عدنان علي، برواية مقاتل المواجهة بين "الطليعة المقاتلة" والنظام.

(168) رسالة عمر جواد إلى قيادة الإخوان المسلمين، في: عدنان عقلة، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، ص 131-132.

(169) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 9.

ويريدون أن يثبتوا أن لهم وجود على الأرض.⁽¹⁷⁵⁾ وهكذا وقفت الطليعة في دمشق عاجزة عن فعل شيء.

يقول أحد كوادر الطليعة في دمشق إنها كانت بكامل قوتها بعد مجزرة حماة، وكانت قادرة على متابعة عملياتها، ولديها الكوادر المؤهلة لإحياء التنظيم في باقي المحافظات، وكانوا بحاجة إلى الدعم فقط وهو ما وعدهم به الإخوان المسلمون لكن لم يقدموه. وظلت طليعة دمشق في السنوات اللاحقة مصرة على عدم فتح معركة جديدة إذا لم تؤمن مستلزماتها.⁽¹⁷⁶⁾ فبقيت بدمشق في حرب أمنية مع النظام قُتل خلال قائدها الشريبي عام 1988، فخلفة عاطف قهوجي الذي قُتل عام 1990، وبقيت حتى خروج آخر مجموعاتها من دمشق عام 1997.

ب. الايقاع بعدنان عقلة ومجموعة الخارج

عندما سقطت حماة كان عدنان عقلة في الخارج يحاول استجلاب الدعم لها، وألمه كثيرًا بقاءه في الخارج وهو ما كان يعيبه على قيادات الإخوان، وصار يتحين الفرصة للعودة إلى سورية وإحياء القتال ضد النظام، فاستغلت المخابرات السورية حماسته، بعد أن استطاعت زرع أحد عملائها في تنظيمه وهو (جاهد دندش)⁽¹⁷⁷⁾ الذي استطاع أن يحوز على ثقة عقلة ويصبح مقرئًا منه على الرغم من التحذيرات التي وصلته منه، فقد حذرته الإخوان المسلمون منه لكنه لم يستمع إليهم لفقدان الثقة بينهما، كما حذرته منه أعضاء في الطليعة،⁽¹⁷⁸⁾ ولكن من دون جدوى. استطاع جاهد أن يقنع عدنان بوجود مجموعات من المجاهدين في جبل الزاوية مستعدة لاستقباله مع رجاله لمتابعة القتال ضد النظام. وبدأ نزول عناصر الطليعة بالتتابع إلى سورية عبر الحدود التركية فقد كان لهم منسق في تركيا. فكانت كلما دخلت مجموعة اعتقلتها المخابرات مباشرة وأجبرتها

وحتى أواخر 1980 بصفوة الطليعة المقاتلة، وبعد ذلك فتحت القيادة باب التنظيم غير المدروس لتوسيع قاعدتها، فتغلب الكم على النوع. والأمر نفسه حدث للإخوان المسلمين فقد أودت الاعتقالات بداية (الأحداث) بألوف من كوادرهم إلى السجون، وبعد أن خرجوا إلى الخارج ضمو ما هب ودب.⁽¹⁷⁰⁾ كلام أبي مصعب صحيح إلى حد كبير في ما يخص الإخوان وربما الطليعة في حلب، ولكن فرع الطليعة بدمشق رفض التوسع السريع، حتى إنه لم يقبل في صفوفه سوى الدمشقيين ممن يعرف تاريخهم.⁽¹⁷¹⁾ وهذا الحذر سيكون سببًا في استمرار الطليعة بدمشق لسنوات بعد الانهيار الذي تلا مجزرة حماة التي لم يبق للطليعة بعدها سوى فرعها في دمشق، إضافة إلى مجموعة صغيرة في الخارج بقيادة عدنان عقلة، وسيبقى النظام جهادًا للقضاء عليهما.

أ. طليعة دمشق: السكون والتلاشي

قبل مجزرة حماة كانت الطليعة في دمشق قد اتخذت قرارًا بالتشاور مع قياداتها في حماة بوقف العمليات في دمشق ستة أشهر من أجل الإعداد للمرحلة المقبلة، على أن تقوم القيادة في حماة بتأمين احتياجاتهم. على الرغم من ذلك نفذت عملاً استثنائيًا عندما فجرت وزارة الإعلام بدمشق انتقامًا لحماة.⁽¹⁷²⁾ ثم أوقفت نشاطها لكن بشكل مفتوح بعد انقطاع الدعم من المركز في حماة،⁽¹⁷³⁾ وحاول قائدها أيمن الشريبي تأمين الدعم من الإخوان المسلمين في الخارج لمتابعة عمله،⁽¹⁷⁴⁾ ولكن من دون جدوى، بل حاول الإخوان عام 1986 استغلال حاجة الطليعة إلى المال، فأرسلوا إليها بعد تجفيف الدعم سنوات مبلغًا صغيرًا، وطلبوا مقابل ذلك وضع عبوة ناسفة في حاوية قمامة، ليصلهم مزيد من الدعم، ولكن الشريبي رفض طلبهم وأرسل لهم رسالة تقريعية طويلة، فقد كان يعرف أنهم يفاوضون النظام

(175) نص الرسالة، في: أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 25-43.

(176) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 14.

(177) المزيد عن دندش، انظر: حسام جزماتي، "الرجل الذي أجهز على تنظيم "الطليعة المقاتلة"، تلفزيون سوريا، (2021-7-19)، <https://bit.ly/3LwSvOw>، شوهده في 02-09-2023.

(178) يقول أبو يشار الذي كان عضوًا في الطليعة أنه فوجئ عندما قابل جاهد دندش في تركيا عندما أقدم الأخير لتنسيق دخول عناصر الطليعة، فهما أبناء منطقة واحدة، ويعرفه أنه ليس أهلاً للثقة، فكتب رسالة لعدنان عقلة في العراق أو الأردن يحذره منه، ولكنه لا يعرف إذا ما كانت رسالته قد وصلت. مقابلة مع أبي يشار.

(170) عمر عبد الحكيم، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، ص 337.

(171) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 217.

(172) ظل النظام يصبر أن منفذي العمليات كهذه، هم "عصابة الإخوان المسلمين عملاء إسرائيل والمخابرات المركزية الأمريكية". الإخوان المسلمون نشأة مشبوهة، ج 4/ ص 227.

(173) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 13-14 وص 310.

(174) أيمن أحمد الشريبي، على ثرى دمشق، ص 14.

أخرى من الطليعة وغيرها عارضةً عليهم العفو لإضعاف المفاوضات في ألمانيا. وبعد جولات عدة من المفاوضات في ألمانيا وقبرص ثم دمشق، تحول الصلح إلى استسلام، بسبب ضعف موقف المفاوضات بافتراض سلامة نيتهم، وأصبح نزول المصالحين مقابل العفو عنهم فقط، وأُجبر معظمهم في ما بعد على التعامل مع المخابرات راضين أو مرغمين.⁽¹⁸³⁾ وقد نُقل عن هاشم شعبان في ما بعد، أنه بذل قصارى جهده للتخفيف من آثار ما حدث والحد من الملاحظات وتسهيل عودة البعض، وقد تأثر كثيرًا بغدر السلطة وعدم تنفيذ ما وعدوه به.⁽¹⁸⁴⁾

وهكذا عاد عشرات من عناصر الطليعة إلى سورية. أما من بقي في الخارج، فقد انقسموا في ما بينهم، مع أن القيادة التي آلت إلى عبد الستار عبود (أبو صالح) أصدرت بيانًا دانت فيه الصلح وعدته فرديًا من بعض الخارجين عن الطليعة وأكدت استمرار خطها الجهادي.⁽¹⁸⁵⁾ بعد تلك المرحلة لم يعد للطليعة المقاتلة وجود رسمي. وقد انضم بعض مقاتليها إلى الجهاد الأفغاني كأبي مصعب السوري، ولاحقًا إلى تنظيم القاعدة كأبي خالد السوري، فيما ظلّ آخرون مستقلين. والتحققت أقلية صغيرة بجماعة الإخوان المسلمين السورية كعادل فارس.⁽¹⁸⁶⁾

خامسًا: الخلفية الفكرية والمنهجية للطليعة

مع غياب وثائق نظرية أو شرعية صادرة عن الطليعة، تبقى آراء قادتها وكتاباتهم وأعمالهم المصدر الوحيد لمعرفة خلفياتها الفكرية ومنهجهم. فالشيخ مروان حديد مؤسس الطليعة لم يترك تراثًا كتابيًا، لكن تلامذته نقلوا ما كان يقول في خطبه وتوجيهاته لهم. ففي بداية تشكيل التنظيم طالب تلامذته بوضع منهج للمجموعة، لكن حديد رفض وأكد أن منهجهم القرآن والسنة فقط، حتى إنه رفض قراءة مشروع النظام الداخلي الذي كتبه عذاب الحمش

على كتابة رسالة طمأنة⁽¹⁷⁹⁾ لتدخل الدفعة الثانية، وهكذا تتابع دخول المجموعات لمدة طويلة حتى دخل عدنان عقلة في أيار/ مايو 1983 واعتقل، وكان قد سبقه نائبه أبو الخير الزيات الذي سيطرت عليه المخابرات تمامًا وصار يرسل الرسائل التطمينية لدخول مجموعات جديدة، حتى شكت قيادة الطليعة في الخارج في الأمر فطلبت من عقلة الخروج ولكنه لم يفعل، لينكشف لها الأمر لاحقًا بعد اعتقال 70 طليعيًا.⁽¹⁸⁰⁾ أدى اعتقال هذا العدد إلى كشف مخابرات النظام أغلب ما يتعلق بالتنظيم في الداخل والخارج، ومنها الخلايا الباقية في حلب والمنطقة الشرقية التي صفيت عناصرها أو سُيطر عليها، وكُشفت بعض خلايا دمشق، واعتقل المراسل صلة الوصل بين الشريحي قائد الطليعة بدمشق وعقلة.⁽¹⁸¹⁾ فسبب ذلك انهيارًا معنويًا لمن تبقى من الطليعة في الخارج، وجعل قسمًا منها جاهزًا للتنازل.

د. الصلح بين السلطة وقسم من الطليعة

بعد اعتقال عقلة ومن معه ساد في الطليعة جو من الإحباط، فاستغلت مخابرات النظام ذلك وتقدمت بعرض لقيادة الطليعة في الخارج لإجراء مفاوضات صلح مقابل تلبية طلبات الطليعة. وكانت القيادة قد آلت إلى هاشم شعبان (أبو العلاء) وغسان أبا زيد (أبو النور) وآخرون. وقد وصلهم عرض المفاوضات عن طريق مسؤول الطليعة العسكري في المنطقة الشرقية الذي تمكنت المخابرات من إقناعه بالتوسط في الصلح مقابل إطلاق سراحه وبعض عناصره، فأقنع شعبان الذي بدأ مع أبا زيد بمفاوضة المخابرات السورية في ألمانيا الغربية من دون استشارة باقي قيادة الطليعة أو الإخوان، وحصروا مطالبهم من النظام: بالإفراج عن المعتقلين، وإعطاء حرية الدعوة الإسلامية، وإزالة الطائفية من الجيش والوظائف، والعفو عن الملاحقين في الخارج.⁽¹⁸²⁾

في أثناء المفاوضات تواصلت المخابرات مع عناصر

(179) لم تكن تتوافر لديهم أجهزة الاتصال آنذاك، وكانوا يستخدمون المراسلين.

(180) عمر عبد الحكيم، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، ص 302-308.

(181) محمد فاروق الإمام، ياسمين أذار المخضب بالدم، ص 283. كذلك عمر عبد الحكيم، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، ص 306.

(182) محمد فاروق الإمام، ياسمين أذار المخضب بالدم، ص 284-286. يبدو أن الإمام قد نقل حرفيًا من عبد الحكيم من دون ذكره.

(183) عمر عبد الحكيم، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، ص 310.

(184) معاذ السراج، الطليعة المقاتلة في ديرالزور.

(185) نص البيان في: عمر عبد الحكيم، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، ص 311-313.

(186) رافايل لوفيفر، "سقوط أحكام وقواعد حماة".

تأكيداً على الالتزام الإسلامي لقبول المنتسبين إليها، لكنها لم تدقق إذا ما كانوا صوفيين أو سلفيين أو من الإخوان وهو ما يلاحظ في سير المنتسبين إليها التي ورد كثير منها في كتاب أيمن الشريجي.

أما رأي حديد بالحكومة السورية القائمة والعاملين فيها، فقد رأى أنها لا تستحق تسمية حكومة والأنسب تسميتها (نظام الحكم القائم) الذي وصفه بأنه (نظام نصيري طائفي)، وإن كان في الظاهر نظاماً بعثياً علمانياً، محارباً للإسلام على وجه الخصوص. أما الوزراء والعاملون في الدولة، فمن كان منهم غير مسلم فلا يجوز له الولاية على المسلمين، ولا يؤتمنون على أمن الأمة. ورأى حديد أن البعثيين عقيدة، كفرية مثل المرتدين والملاحدة. أما المضطرون إلى العمل في دوائر الدولة، فكل واحد منهم ينظر في حاله وتصرفاته. أما الحكومات العربية والإسلامية فالموقف منها في ميزان {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة:44].⁽¹⁹³⁾ فقد كان يرى الأنظمة كلها عميلة يجب أن تسقط، وأنه لا يجب تدنيس الجهاد بقبول مساعدة عسكرية أو مالية منهم.⁽¹⁹⁴⁾ وربما هذا ما جعل حكومات الأردن والعراق تحجم عن تقديم المساعدة للطليعة حتى في أحلك الظروف وعلى الرغم من طلب قيادتها المساعدة.

أما شكل الدولة السورية المرتقبة فلم يحدده حديد، وقال: إنهم إذا ما وصلوا إلى الحكم سوف يستشيرون الخبراء السوريين من الشرعيين والحقوقيين والساسة الذين يمكن أن يناقشوا شكلاً ممكناً للحكم لا يتعارض مع نظام الإسلام السياسي، وكان يرى عدم إمكانية تطبيق نظام الخلافة على إقليم واحد كسورية.⁽¹⁹⁵⁾

وقبل اعتقاله بأيام عام 1975 أصدر حديد ما سماه

أحد أفراد مجموعته.⁽¹⁸⁷⁾ ما دفع الحمش إلى الابتعاد عن حديد رافضاً الاشتراك في جهاد غير منضبط ولا منظم كما قال.⁽¹⁸⁸⁾

كان حديد دائم التأكيد أنه ومجموعته من جماعة الإخوان المسلمين ويتبنون مبادئها كاملة وأن سبب ابتعادهم عن تنظيم الجماعة إهمال قيادته الجهاد الذي هو جزء أساسي من شعارها ((الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسى أمانينا)).⁽¹⁸⁹⁾ ولخص حديد أهدافهم في ثلاث نقاط: إقامة الخلافة الإسلامية على نهج الخلافة الراشدة، وتفجير طاقات السوريين ليعطوا النموذج الأعلى في بناء الحضارة، وأخيراً، استرداد البلاد التي فتحها المسلمون، وإعادة تطبيق الشريعة فيها ابتداءً بفلسطين ولبنان وانتهاءً بالأندلس والهند.⁽¹⁹⁰⁾ ولكن بعد حديد وخلال مسيرة التنظيم فإن أيًا من قاداته لم يدعُ إلى إقامة الخلافة أو استرداد الأندلس والهند، بينما كانت نبرة العداء للغرب واضحة في خطابهم لأنه يسكت عن نظام الأسد.

اعتقد حديد أن الجهاد السبيل الوحيد لتحقيق أهدافه السابقة. وعندما سُئل عن شكل الجهاد الذي سينتهجونه هل هي حرب العصابات، أو الاغتيالات، أو الانقلاب العسكري؟ أجاب: كلها جائزة بأدلتها الشرعية.⁽¹⁹¹⁾

أما عن حدود علاقة مجموعته مع الإخوان المسلمين، والحركات السلفية والصوفية وحزب التحرير وغيره قال: كلهم إخواننا، وعلاقتنا معهم تقوم على المودة والنصيحة، وممكن أن يكون شباب هؤلاء أسرع تلبية لنا بسبب تربيتهم الإسلامية.⁽¹⁹²⁾ وفي ما بعد فإن الطليعة على الرغم من

(187) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص63.

(188) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، حاشية ص213.

(189) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص221.

(190) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص232-233.

(191) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص232-233.

(192) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات،

ص233.

(193) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص233-234.

(194) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص458.

(195) عذاب الحمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص236.

الصوفية وصولاً إلى السلفية، ويظهر من خلال مصادرها حرصها على حياة المواطنين عند تنفيذ عملياتها، وتفكيكها بردات فعل النظام على المدنيين، أما موقفها المتشدد من (النصيرية) كما تسميهم في أدبياتها فلا، يمكن فهمه خارج سياق طائفية نظام الأسد واستخدام العلويين نواة صلبة للمؤسسات العنيفة التي ركزت عنفها المعنوي والعسكري على أهل السنة خصوصاً؛ ما دفع صراع الهويات إلى مستويات غير مسبوقه.

سادساً: استنتاجات بمنزلة خاتمة

1. الطليعة المقاتلة على الرغم من تداخلها مع جماعة الإخوان المسلمين يمكن عدّها تنظيمًا إسلاميًا مستقلاً اختار العمل المسلح لتحقيق أهدافه، بعكس جماعة الإخوان المسلمين التي كانت تركز على العمل الدعوي والسياسي وقاومت من خرج عن هذا المنهج في صفوفها، ولم تلجأ إلى العنف إلا عندما قرر النظام استئصالها بالقتل.

2. استمر التداخل بين الطليعة وجماعة الإخوان على الرغم من الخلافات بينهما، فالقطيعة النهائية لم تكن في مصلحة الطرفين، فمروان حديد كان مؤمناً بفكر الجماعة، وعندما كان يرى التحاق شبابه به راهن على التحاقها كلها به، أما الجماعة فكانت تعرف بوجود متحمسين في صفوفها ولا تريد فقدانهم، ولا تريد أن تبدو أمام أنصارها أنها تتخلى عن جزء مهم من شعارها. وكانت الطليعة بحاجة إلى شبكة دعم الإخوان الدولية، فأرادت الجماعة أن تظهر بوصفها قائدة للحركة الإسلامية.

3. كانت السياقات المؤثر الأساسي في ظهور هذا التنظيم وتشكله وأهدافه وأساليب عمله، ويأتي دور الأيدلوجية في الدرجة الثانية، وما كان لمثل تلك السياقات في سورية أو غيرها إلا أن تؤدي إلى مثل هذه النتائج.

4. الانقسام الداخلي والتردد بين الطليعة والإخوان أثر في الاستعداد العسكري والتخطيط والتنسيق في الأوقات الحرجة، ويعد من أهم أسباب فشل الانتفاضة الإسلامية في سورية في الثمانينيات.

(بيان الجهاد)⁽¹⁹⁶⁾ الذي وجهه إلى العلماء والجماعات الإسلامية والمسلمين عامة. وبالاطلاع على بنود بيان 99، فهي تحتوي المنهج الجهادي لحديد كاملاً، وربما الذي أراده لتنظيمه، من حيث الإعداد والتجهيز والوسائل، وعلى عاتق من يقع الجهاد الذي عده فرض عين، ومن هو العدو القريب والبعيد، وحكم الحكومات الكفرية القائمة في نظر الشرع وما يجب فعله اتجاهها.

وفي 1979 اعتمد قائد التنظيم عبد الستار الزعيم تسمية (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين) للتنظيم، لاعتبارات عدة أهمها تثبيت الخلفية الفكرية للقائمين على العمل الجهادي في سورية، مع تأكيد عدم وجود أي ارتباط تنظيمي مع الإخوان المسلمين.⁽¹⁹⁷⁾ تأكيد الزعيم الخلفية الفكرية الإخوانية للطليعة يدفعنا إلى تقصي العلاقة ما بين الخطابين الإخواني والجهادي اللذين يرى جمال باروت أن بينهما قطيعة، توصل إليها بعد مقارنته كتابات من يمثلون الخطابين كليهما.⁽¹⁹⁸⁾

بعيداً من التعقيدات والمبالغات التي تصحب تفسير (ظاهرة العنف الإسلامي) والسعي لتأصيلها. فبعد الاطلاع على كتابات قادة الطليعة بعد حديد ومن أجريت معهم المقابلات التي ظهر من خلالها علاقة الطليعة بمحيطها (المجتمع، العلماء، الضباط، الشعب) وطريقة عملها، يمكن تأكيد ما ذهب إليه حسام جزماتي من أن الطليعة تنتمي إلى فضاء السبعينيات الذي شهد ظهور تنظيمات ما بعد إخوانية كالجماعة الإسلامية والجهاد وغيرهما، ويحتل التنظيم موقعاً انتقالياً، أو منزلة بين المنزلتين، في سياق تحول الحركة الإسلامية المعاصرة في السبعينيات من دعوية إخوانية إلى راديكالية مقاتلة قبل السلفية الجهادية.⁽¹⁹⁹⁾ فهي لم تكفر المجتمع كله ولم تعده جاهلياً، وتعاونت مع التنظيمات الإسلامية ولكنها رفضت التعاون مع غيرها، وضمنت إلى صفوفها الإسلاميين بمختلف مشاربهم من

(196)-البيان كاملاً. انظر: عذاب الجمش، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، ص 255-277.

(197) أيمن أحمد الشريحي، على ثرى دمشق، ص 6-7.

(198) محمد جمال باروت، يثرب الجديدة: الحركات الإسلامية الراهنة. (بيروت: دار الرئيس، 1994)، ص 14-15.

(199) جزماتي، "الرسالة التي قتلت عدنان عقلة". كذلك: جزماتي، "عن سياق أحداث حماة".

المصادر والمراجع

5. الطليعة المقاتلة لم تعانِ من مشكلات داخلية أو انقسامات، وكان انتقال القيادة فيها سلساً في المستوى المركزي والفروع ولم تحدث أي مشكلات.
6. قادة الطليعة المقاتلة جميعهم في المستوى المركزي والفروع كانوا من الشباب الذين لم تتجاوز أعمارهم ثلاثين عاماً، باستثناء المؤسس مروان حديد. وكانوا جميعاً من حملة الشهادات الجامعية أطباء ومهندسين ومعلمين وقليل منهم علماء دين على الرغم من أن التنظيم إسلامي. وكانت الخلفية الإسلامية والدراسة المسجدية مشتركة بين منتسبي الطليعة كلهم تقريباً قادة وأفراداً.
7. تجاهل الدور المركزي للإسلام في حياة غالبية السوريين كانت له تداعيات خطيرة، ثم إن منع الإسلام السياسي من التعبير عن نفسه علناً دفعه إلى العمل السري ما عنى مزيداً من التقوقع والتشدد.
8. بعكس ما هو شائع، يمكننا القول إن الأقليات كانت سبباً رئيسياً في تراجع الدولة السورية والهوية الوطنية، بعد أن فشلت في استيعاب معنى المواطنة، وبقيت لأسباب تاريخية حبيسة الفكر الأقلوي الذي كان ضرورياً للمحافظة على نفسها ما قبل دولة المواطنة، فاستخدمت آلية الدولة الحديثة للسيطرة عليها مع احتفاظها بالتضامن الطائفي الذي استخدمه نظام الأسد للبقاء في السلطة.
9. من الصعب نجاح تنظيم سري مسلح في تغيير نظام حكم بالوسائل العسكرية فقط.
1. الإمام. محمد فاروق، ياسمين أذار المخضب بالدم، مركز أمية للبحوث، (د.م: دار الأرقم، 2021).
2. باروت. محمد جمال، يثرب الجديدة- الحركات الإسلامية الراهنة، (بيروت: دار الريس، 1994).
3. جلود. عزيزة، إبراهيم اليوسف وصفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة في سوريا، (ألمانيا: أكاديمية العلم والسلام، د.ت).
4. الحمش. عذاب، الشهيد مروان حديد ومنهجه في الدعوة والجهاد - ذكريات ومذكرات، دراسة توثيقية تحليلية، (د. م: أكاديمية العلم والسلام، 2015).
5. حوى. سعيد، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ط1، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1987).
6. د.م، الإخوان المسلمون: نشأة مشبوهة وتاريخ أسود، حزب البعث، (دمشق: منشورات مكتب الإعداد الحزبي، 1985).
7. سعد الدين. عدنان، الإخوان المسلمون في سورية: مذكرات وذكريات، (د. م: دار عمار، د.ت).
8. سورا. ميشيل، سورية الدولة المتوحشة، أمل ساره ومارك بيالو (مترجمين)، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، 2017).
9. الشريجي. أيمن أحمد، على ثرى دمشق، ط1، (لندن: أفق للدراسات والنشر، 2017).
10. عبد الحكيم. عمر، الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، (د. م: دن، 1991).
11. عقلة. عدنان، شهادة عدنان عقلة: صفحات من تاريخ الطليعة المقاتلة، عمر الخالدي ويوسف صادق (معدان)، (د.م: دن، د.ت).

12. هانف. تيودور، لبنان تعايش في زمن الحرب: من انهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، موريس صليبيا (مترجمًا)، ط1، (باريس: مركز الدراسات العربي الأوروبي، 1993).